الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: 1335080083

الوجود العثماني في سواحل البحر الأحمر

"السودان، الصومال، إرتيريا أنموذجا"

1557-1882م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة التاريخ تخصص: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

سيف الدين بركات

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
عبد القادر خليفي	جامعة محمد بوضياف_ المسيلة	رئيساً
محمد الشريف حسين	جامعة محمد بوضياف_ المسيلة	مشرفاً ومقرراً
صالحي منى	جامعة محمد بوضياف_ المسيلة	ممتحناً

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/ 2017-2018م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: 1335080083

الوجود العثماني في سواحل البحر الأحمر

"السودان، الصومال، إرتيريا أنموذجا"

1557-1882م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة التاريخ تخصص: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

سيف الدين بركات

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ	المؤسسة الجامعية	الصفة
عبد القادر خليفي	جامعة محمد بوضياف_ المسيلة	رئيساً
محمد الشريف حسين	جامعة محمد بوضياف_ المسيلة	مشرفاً ومقرراً
صالحي منى	جامعة محمد بوضياف_ المسيلة	ممتحناً

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/ 2017-2018م

شكر وعرفان

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

النمل: ١٩

الحمد لله واهب النعم الذي علمّ بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، أشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فالله الحمد على توفيق لي في إتمام هذا العمل المتواضع

وفي هذا المقام لا يسعدني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف "**حسين محمد الشريف**" التي لم يبخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه القيمة وصبره معي طيلة فترة إعداد هذا البحث فله مني فائق الاحترام والتقدير

كما أتقدم بخالص الشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ

كما لا يفوتنا شكر كل الأصدقاء الذين مدوا لي يد المساعدة

إهداء

أهدي هذا العمل إلى من قال في حقهما الله عز وجل:

﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾

الإسراء: ٢٤

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي

إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها

إلى من زرع بذور الإرادة والعزيمة في نفسي وغرس شتائل الأمل في وجداني

إلى سر وجودي أبي الغالي أطال الله في عمره

إلى الذين حبهم يسري في دمي إخوتي وأخواتي

مقدمـــــــــة

مقدمة:

عمرت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون، واستطاعت بفضل جيوشها الإسلامية أن تصل مناطق كثيرة من العالم خاصة في جنوب شرق أوروبا ووسطها، وأحرزت باسم الإسلام انتصارات باهرة أفزعت الشعوب والحكومات الأوروبية منها، فقام العالم المسيحي بشـــن حربا ضروس ضد الإسلام والمسلمين بكافة الطرق خاصة بعد سقوط غرناطة عام 1492م، حيث ســـعى البرتغاليون لتطويق العالم الإســـلامي فســـيطروا على العديد من المناطق في إفريقيا وشـــبه القارة الهندية، وحاولوا الســـيطرة على البحر الأحمر وتهديد الأماكن المقدســـة، وتزامن هذا مع ظهور العثمانيين كقوة بحرية خاصة في عهد السلطان ســـليم الأول الذي رفع شـــعار الدفاع عن العالم الإســـلامي، فوجه أنظاره نحو المشرق الإسلامي والبحر الأحمر.

أهمية الموضوع:

ولكون موضوع الوجود العثماني في البحر الأحمر خاصة في الصومال والسودان وإرتيريا موضـــوعا مهما للغاية في التاريخ العثماني الحديث والسياسة العثمانية التوسعية في المشـــرق العربي ونقطـــة تحول في الصـــراع العالمي حول البحر الأحمر والقرن الإفريقي.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد ســـاهمت العديد من العوامل في اختيارنا لموضوع الدراسة، حيث تنوعت بين الذاتية والموضوعية ويمكن حصرها فيما يلي:

أ-الذاتية:

- الرغبة في دراسة تاريخ الدولة العثمانية وتوسعاتها في المشرق العربي.
- الرغبة في معرفة تاريخ الشعوب الإسلامية في القرن الإفريقي.
- الانتماء الحضاري للعروبة والإسلام.

ب-الموضوعية:

- قلة الدراسات السابقة حول هذا الموضوع.
- معرفة طبيعة الوجود العثماني في شرق إفريقيا.
- معرفة سياسة العثمانيين في البحر الأحمر.

الإشكالية:

ولهذه الدواعي وغيرها ارتأينا دراسة الموضوع الذي تناولنا فيه الوجود العثماني في البحر الأحمر (السودان، الصومال وإرتيريا أنموذجا)، ونظرا لما تقتضيه هذه الدراسة من متطلبات اخترنا الإشكالية التالية:

- إلى أي مدى نجح العثمانيون في صد الخطر البرتغالي على البحر الأحمر وحماية ديار الإسلام فيه؟

وبدورها هذه الإشكالية تفرعت إلى عدة تساؤلات فرعية:

- فيم تكمن أهمية البحر الأحمر؟
- ما هي أهم الحملات البرتغالية للسيطرة عليه؟
- كيف واجه العثمانيين الخطر البرتغالي في البحر الأحمر، وفيما تمثلت سياستهم فيه؟
- فيما تجلت ملامح الوجود العثماني في القرن الإفريقي؟

خطة الموضوع:

ونظرا لما تقدم لنا من مادة علمية وما تتطلبه هذه الدراسة قسمنا الموضوع إلى مقدمة ومدخل تمهيدي وفصلين وخاتمة.

المدخل التمهيدي تطرقنا فيه إلى الموقع الجغرافي للبحر الأحمر وأهميته وأبرز الحملات البرتغالية للسيطرة عليه، وفي الفصل الأول تناولنا الوجود العثماني في البحر الأحمر ضمن ثلاثة مباحث، المبحث الأول كان بعنوان: الصراع المملوكي البرتغالي في البحر الأحمر، ذكرنا فيه حملة حسين الكردي وحملة الهند الثانية، أما المبحث الثاني فقد

أبرزنا فيه بدايات الوجود العثماني في البحر الأحمر من خلال ضـــم مصر والحجاز عام 1517م، وفي المبحث الثالث حاولنا تســليط الضوء على أهم الحملات العثمانية للسيطرة على البحر الأحمر خلال القرن 16م وركزنـــا فيـــه على اليمن والمحيط الهندي والخليج العربي.

أمـــا الفصـــل الثاني فقد كانت تحت عنوان: الوجود العثماني في إيالة الحبشـــة (الســـودان، الصـــومال، إرتيريا) أدرجنا فيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى أوضـــاع الحبشة قبل مجيء العثمانيين خاصة التحالف الحبشي البرتغالي والصراع الإسلامي المسيحي بين الحبشة والإمارات الإسلامية، أما المبحث الثاني: فقد ركزنا فيه على قضية هامة شـــكلت حلقة رئيســـية في تاريخ الدولة العثمانية، تمثلت في الحكم العثماني للحبشة، شرحنا فيه تأسيس إيالة الحبشة ودور أزدمير باشا في ذلك، بالإضافة إلى الإدارة العثمانية في إيالة الحبشة، أما المبحث الثالث والأخير فقد خصصناه للحكم العثماني المصري في إيالة الحبشة، حيث ركزنا فيه على أوضـــاع الحبشـــة في عهدي محمد علي والخديوي إسماعيل، وفي الأخير أشرنا إلى الثورة المهدية ونهاية الحكم العثماني في الحبشـــة واختتمناها بخاتمة تمثل أهم النتائج المتوصل إليها.

منهج الدراسة:

أما عن المنهج المتبع في هذه الدراســـة، فقد تتبعنا المنهج التاريخي من خلال رصـــد مختلف الحملات في البحر الأحمر سواء البرتغالية أو العثمانية وترتيبها ترتيبا زمنيا، وكذلك في ذكر مراحل الوجود العثماني في الحبشـــة وذلك باســـتخدام المنهج الوصفي كمنهج مساعد في وصف الحملات ومظاهر الوجود العثماني في الحبشة.

ذكر المصادر:

تمت معالجة الموضـــوع من خلال مجموعة من المصـــادر والمراجع، بالإضـــافة إلى المقالات والرسائل الجامعية نذكر منها:

- كتـــاب تحفـــة المجاهدين في أحوال البرتغاليين لأحمد زين الدين المليباري الذي يعتبر مصدرا هاما عايش مؤلفه الاحتلال البرتغالي للسواحل الهندية، واستفدنا منه في الحملات البرتغالية على البحر الأحمر وحملة سليمان باشا الخادم على ديو.
- كتاب الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان لعبد الصمد الموزعي الذي شـــرح فيه دخول اليمن تحت سلطة الدولة العثمانية وأفادنا في حملة سليمان باشا الخادم على اليمن.
- كتـــاب البرق اليمـــاني في الفتح العثمـــاني للنهراولي، حيث اســـتعنا به في ذكر حملة البوكيرك على عدن ومؤلفات ابن الدبيع، الفضـــل المزيد وقرة العيون من خلال معرفة وجهة نظر المؤرخين اليمنيين في الفتح العثماني لليمن، بالإضـــافة إلى شـــقير نعوم في كتابه تاريخ الســـودان والذي استفدنا منه في الحكم العثماني المصري للحبشة، ولكن ما يعاب عنه إهماله للفترة التي سبقت وصول المصريين للسودان والحكم العثماني المباشر للسودان.

بالإضافة إلى بعض المراجع الأخرى والتي من أبرزها:

- أحمد ســـالم ســـالم، "استراتيجية الفتح العثماني"، ومحمد عثمان أبو بكر، "تاريخ أرتيريا المعاصر أرضا وشعبا".

ذكر الصعوبات:

من أبرز الصـــعوبات التي واجهتنا قلة المعلومات المتعلقة بتاريخ الصـــومال والسودان وإرتيريا في فترة الحكم العثماني المباشر، وصعوبة الحصول على العديد من المصادر والمراجع الهامة المتعلقة بالموضـــوع بسبب البعد وعدم قدرتنا على التنقل إلى مراكز وجودها في مصر والسودان.

وفي الأخير لا يســـعنا إلا أن نشـــكر فضـــيلة الأســـتاذ الدكتور المشرف: حسين محمد الشريف الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته طيلة فترة دراسة الموضوع، بالإضافة إلى الدكتور: عمر توكل من جمهورية إرتيريا والذي زودنا بأغلبية المراجع خاصـــة المتعلقة بالوجود العثماني في إرتيريا وإلى الطالبة مفيدة التي ساعدنا في كتابة هذه الدراسة.

مدخل

البحر الأحمر الموقع والأهمية

أ-التسمية

ب-الموقع

ج-أهمية البحر الأحمر

البرتغاليون في البحر الأحمر خلال القرن 16م

1-دوافع اهتمام البرتغاليين بالبحر الأحمر

أ-الدينية

ب-الاقتصادية والسياسية

2-الحملات البرتغالية للسيطرة على البحر الأحمر خلال القرن 16م:

أ-في عهد فاسكودي غاما (1498-1502م)

ب-في عهد دي ألميدا (1502-1507م)

ج-في عهد البوكيرك (1507-1513م)

ضم عدن في عهد البوكيرك 1513م

د-في عهد لوبو سواريز 1517م

أ-التسمية:

يقول بعض الجغرافيين: بأن تسمية البحر الأحمر هي صيغة مختصرة عن اسمه القديم "بحر الملك القديم" وهو ما أشار إليه المؤرخ الألماني "أغاتار خيدس" إلى أن كلمة إريتريا التي كانت اسما للبحر الأحمر، تعني في اللغة الفارسية بحر الملك الأحمر، أما الكتاب المحدثين فقالوا أن البحر الأحمر يسمى بذلك لأن الطرف الشمالي منه تسوده طبقة كثيفة من الطحالب التي أضفت على المياه لونها المائل للحمرة.[1]

أما الجغرافيون الإسلاميون فقد أطلقوا عدة تسميات فابن (خرداذبة)[2] يجعله «البحر الشرقي الكبير، فيه يركب التجار من القلزم إلى جدة» ويسميه "المقدسي" بالبحر الفارسي[3] وأطلق عليه المسعودي اسم البحر الحبشي[4]، ويطلق عليه ابن خلدون اسم بحر القلزم[5]، وهو ما ذهب إليه المقريزي فأطلق عليه بحر القلزم، وقد عرف بالقلزم لأن ساحله الغربي كان في شرقي أرض مصر التي بها مدينة مصرية تسمى بالقلزم.[6]

ب-الموقع:

يقول ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان: «إنه جزء من المحيط الهندي، الذي انشعب إلى خليجين عظيمين يسمى كل واحدا منهما بحرا على حدا، أحدهما المعروف ببحر القلزم الذي ينعطف فيحيط بأرض العرب حتى تصير به جزيرة، فيقال لجنوبه بحر

---

[1] - عبد الله المحسن السلطان، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ع7، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص 25، 26.

[2] - ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1889، ص61.

[3] - المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، 1909، ص18.

[4] - المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2005، ص125.

[5] - عبد الرحمن، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق-سوريا، 2004، ص51.

[6] - المقريزي، تقي الدين أبي العباس، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1982، ص16.

الحبشة، ولشماله بحر اليمن»[1] يمتد بين خطي عرض 12° و36° يضيق عند باب المندب جنوبا، وشـــمالا عند مضـــيق تيران[2]، وهو حوض شـــريطي الشكل طويل وضيق، تبلغ مســـاحته 178 ألف ميل مربع وطول ســـواحله 4337 ميل، يمتد طولا بين قناة السويس شـــمالا وباب المندب جنوبا، ويبلغ طوله 1900 ميلا، ويمتد عرضا ما بين ميناء مصوع الإريتري ومثران على الساحل الآسيوي الشرقي 140 ميلا.[3]

البحر الأحمر هو منخفض أرضي يصل بين شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا، تقع المملكة العربية الســـعودية واليمن على شـــاطئه الشرقي، وعلى شاطئه الغربي مصر والســـودان وإريتريا ورقعة ضـــيقة من الأردن وفلسطين المحتلة (ميناء العقبة وإيلاث)، وعلى طرفه الجنوبي دولة جيبوتي.[4]

توجـــد بـــه حوالي 389 جزيرة من أهمها جزيرتا بريم وموليله عند باب المندب وجزيرتـــا تيران وصـــــنافير في مدخل خليج العقبة[5] وجزر دهلك في إريتريا وجزيرتي حنيش الصغري وجنيش الكبرى باليمن، ومن أهم الموانئ الواقعة في البحر الأحمر ميناء السويس وغردقة في مصر، وبورسودان وسواكن وعقيق في السودان، ومصوع وعصب في إريتريا، ومخاء والحديدة في اليمن وجدة وينبع في السعودية.[6]

---

[1] – ياقوت، الحموي، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، ص21.

[2] – عبد الله، عبد المحسن السلطان، مرجع سابق، ص28.

[3] – عابدين عبد الصبور الصادق، إريتريا والسودان تطور العلاقات الاستراتيجية، سلسلة الدراسات الاستراتيجية، العدد 19، مركز الدراسات الاستراتيجية، الخرطوم، السودان، 2012، ص 11، 12.

[4] – محمد عثمان، أبو بكر، تاريخ إريتريا المعاصر أرضا وشعبا، [د. ن]، القاهرة–مصر، 1994، ص102.

[5] – عبد الله، عبد المحسن السلطان، مرجع سابق، ص30.

[6] – عثمان، صـــالح سبى، الصراع في البحر الأحمر عبر التاريخ، دار الفجر الجديد للطباعة والنشر، أسمرة، إريتريا، [د. ت]، ص30.

أهم المضايق في البحر الأحمر:

1-باب المندب:

هو المدخل الجنوبي للبحر الأحمر يبلغ عرضه 20 ميل، وسمي كذلك باب الدموع بسبب المخاطر التي تتعرض لها السفن خلال مرورها وبسبب وجود مجموعة من الصخور البارزة التي تعتر من طريق الملاحة، ويقع باب المندب بين الزاوية الجنوبية الغربية لشبه الجزيرة العربية، وشرق إفريقيا، ويربط بين المحيط الهندي والخليج العربي والقرن الإفريقي.[1]

2-مضيق جوبال: يتحكم في مدخل خليج السويس، يوجد داخله عدة جزر صغيرة أهمها: أم كمران وجوبال.

3-مضيق تيران: هو المدخل الوحيد لخليج العقبة من البحر الأحمر، توجد به عدة جزر أهمها جزيرتا صنافير وتيران.[2]

أهم الخلجان في البحر الأحمر:

خليج العقبة: يقع بين خطي عرض 28 و29 شمالا يبلغ طوله حوالي 110 ميل وعرضه ما بين 8و18 ميل تحيط به كل من المملكة العربية السعودية والأردن، وفلسطين المحتلة ومصر.

خليج السويس: هي الذراع الشمالية الغربية للبحر الأحمر يقع بين خطي عرض 28°و29° شمالا يبلغ طوله 200 ميلا وعرضه 20 ميل وهو تابع لدولة مصر.[3]

---

[1] - حمد سعيد الموعد، أمن الممرات المائية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، بغداد، العراق، 1999، ص16-17.

[2] - عبد العاطي، غنيم، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن 19، سلسلة تاريخ المصريين، العدد 140، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1999، ص21-22.

[3] - عبد الله، عبد المحسن السلطان، مرجع سابق، ص30.

ج-أهمية البحر الأحمر:

ترتبط أهمية البحر الأحمر الاستراتيجية بموقعه الجغرافي، الذي يتوسط القارات الثلاث: آسيا، إفريقيا وأوروبا، ويشكل همزة وصل بين الكثير من الطرق المائية بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي[1]، فهو بمثابة جسر يصل بين بحار الشرق والغرب، لأنه يربط المحيط الهندي بالبحر الأبيض المتوسط، بواسطة مضيق باب المندب في الجنوب، وقناة السويس في الشمال، كما أنه يوفر إمكانية الوصول إلى المحيط الأطلسي[2] عبر نقاط التحكم الأساسية في الشمال عند السويس وتيران، وفي الجنوب عند باب المندب، كما أن طول سواحله تسمح بالتحكم في مياه البحر وفي الملاحة فيه.[3]

ساهم الموقع الجيوسياسي للبحر الأحمر في تأثيره الشديد والمباشر على حركة التجارة المحلية والإقليمية والدولية، باعتباره مركزا لنقل تجارة الشرق إلى غرب أوروبا عبر البحر الأحمر، خاصة الأرز من الصين والكتان والشاي من الهند والصمغ والكتان من شبه الجزيرة العربية.[4]

ومنذ افتتاح قناة السويس 1869 أصبح البحر الأحمر أسرع ممر بحري بين الشرق والغرب، وبديلا عن رأس الرجاء الصالح في حركة التجارة وما ميزه كونه ممر مائي لأهم سلعة وهي النفط، ولأن معظم المنتوجات الآتية من العالم الثالث تمر عليه.[5]

أما من الناحية العسكرية، فقد اكتسب البحر الأحمر أهمية كبيرة، كونه مدخل البلاد العربية إلى إفريقيا وآسيا، والمنفذ البحري الوحيد للسودان وإثيوبيا، وأمنه يرتبط بأمن المحيط الهندي من ناحية، وأمن الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى،

---

[1] – محمد، صبحي الحجار، الصراع على البحر الأحمر حقبة ما قبل 1980، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 81، جويلية 2012، بيروت، لبنان، ص54.

[2] – عبد الله، عبد المحسن السلطان، مرجع سابق، ص33-34.

[3] – صلاح الدين، حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، ع49، جانفي 1982، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص59.

[4] – عبد العاطي غنيم، مرجع سابق، ص30.

[5] – محمد صبحي، الحجاز، مرجع سابق، ص54.

كونه همزة وصــل بين الأساطيل البحرية[1]، كما يمكن جعل معظم سواحله قواعد عسكرية انطلاقــا للســيطرة على الملاحة فيه وتتميز جزيرة بريم* بمينائها الصــغير الذي يتيح الســيطرة على الجزء الجنوبي منه، وجزيرتا تيران وصــنافير** بمراقبة الملاحة في مضيق تيران، وتؤمن جزيرة شدوان*** مراقبة مدخل قناة السويس.[2]

ظــل البحر الأحمر على مدى العصــور عاملا فعالا في ربط البلاد المحيطة به بطرق الملاحة، مما ســاعد على ازدهار أحوال تلك البلاد، بفضل تقدم الملاحة مع الهند والصين وبقية بلاد الشرق الأقصى، وأصبح مصدرا لتموين العالم الأوروبي بكل ما يلزمه من منتجات، ما أدى إلى جني ثروات عديدة عن طريق فرض الضــرائب[3] ، وقد مرت الملاحة في البحر الأحمر عبر ثلاث مراحل، في المرحلة الأولى: كان الطريق بريا ينتهي بالقرب من قناة الســويس، ثم تقوم الطرق البرية بالربط بين محطات هذا البحر وموانئه، وبعض المدن القائمة في واد النيل ثم استخدم النيل كهمزة وصل بين البحر الأحمر والبحر المتوســط، وكوسيط بين الشرق والغرب في عهد البطالمة****، أما المرحلة الثانية: فهي المرحلة المحيطة وتبدأ بســيطرة البرتغاليين على البحار الشرقية، بعد وصولهم إلى الهند

[1] – عبد العاطي، غنيم، مرجع سابق، ص30.

* – جزيرة بريم: جزيرة بركانية في مدخل باب المندب تبلغ مســاحتها 13 كلم^2، حمد ســعيد الموعد، أمن الممرات المائية، مرجع سابق، ص 18.

** –جزيرتا تيران وصنافير: جزيرتين يتحكمان في مدخل خليج العقبة في مياه البحر الأحمر تابعتان لمصر وقد تخلت عنهما مؤخرا للسعودية 2017، حمد سعيد، الموعد، أمن الممرات المائية، مرجع سابق، ص18.

***–جزيرة شــدوان: جزيرة تقع بالقرب من مدخل خليج السويس وخليج العقبة بالبحر الأحمر...، ينظر إلى حمد سعيد، الموعد، أمن الممرات المائية، مرجع سابق، ص18.

[2] – محمد، صبحي الحجاز، مرجع سابق، ص57.

[3] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص105.

**** –عهد البطالمة: هو عائلة من أصــل مقدوني حكمت مصر في الفترة 323 ق.م –30 ق.م تكونت من 16 حاكما من أبرزهم بطليموس الأول والثاني، ينظر إلى محمود إبراهيم الســعدني، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، [د.ت]، ص 31–32.

عن طريق رأس الرجاء الصـــالح أواخر القرن 18، أما المرحلة الثالثة: فهي ما بعد فتح قناة السويس.[1]

البحر الأحمر عبر العصور:

اكتســب البحر الأحمر أهمية سياسية واستراتيجية واقتصادية منذ عصور التاريخ الســحيقة، ذلك أن القدماء عرفوا ميزته في الربط بين الساحل الآسيوي عند شبه الجزيرة العربية والساحل الإفريقي من مصر ثم شمال إفريقيا، وعند السودان والصومال إلى قلب القارة الإفريقية، وكذلك ميزة الربط بين المحيط الهندي جنوبا والبحر الأبيض المتوســط شمالا كأقصر طريق للملاحة.

ويقول المؤرخون: أن هــذه الميزة عرفت منذ أربعة آلاف عام، وذلك خلال الألف الثانية قبل الميلاد عن طريق الملكة المصرية حتشسبوت[*]، التي ذهب أسطولها إلى القرن الإفريقي (الصومال، إرتيريا)[2]، للحصول على البخور والعطور وبعض الأخشاب اللازمة، فجلبوا الذهب والفضة من الصومال.[3]

وبعد فتوحات الإسكندر الأكبر أراد أن يخضع البحر الأحمر وشواطئه لنفوذه طمعا في البخور والطيب، فأرسل بعثات استكشافية لدراسة أحوال البحار، والسواحل والشعوب، وأمر بطليموس الثاني بإعادة حفر القناة القديمة الرابطة بين النيل والبحر الأحمر[4]، وأنشأ بطليموس الثاني[**] عددا من الموانئ أهمها: أدوليس بالقرب من مصوع في إريتريا لتسهيل

---

[1] – عبد العاطي، غنيم، مرجع سابق، ص20–21.

[*] – حتشـــسـبوت: حاكمة مصرية ضمن ملوك الأسرة 18، مدة حكمها (1503ق.م –1482ق.م)، ينظر إلى محمود إبراهيم السعدني، مرجع سابق، ص45.

[2] – صلاح، الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، مرجع سابق، ص62.

[3] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص106.

[4] – عثمان، صالح سبى، تاريخ إريتريان سلسلة قضايا دولية، عدد 13، المكتبة الإريترية، أسمرة، 1994، ص48.

[**] – بطليموس الثاني: (285ق.م –247 ق.م) أحد ملوك البطالمة اعتلى عرش مصر سنة 223ق.م، محمود إبراهيم السعدني، مرجع سابق، ص32.

تجارة الشـــرق التي تنقل من عدن إلى الســـفن المصرية تمهيدا لتوزيعها عبر بقية أنحاء العالم.[1]

ثم حاول الرومان بعد ذلك الســـيطرة على طرق التجارة، فأرسلوا الحملات لغزوا عدن، ثم أمر الإمبراطور أغســـطس بتدميرها، بسبب أن الفرس يسيطرون عليها، وعملوا على نقل التجارة بين المخا والموانئ الســـورية، وفرض الرومان ضـــرائبا على الســـفن العربية والهندية التي تلجأ إلى موانئ البحر الأحمر، وسيطروا على أدوليس وجزر دهلك وعيذاب.[2]

أما عند العرب فقد اكتســـب البحر الأحمر أهمية كبيرة، بحكم كونه خطا تجاريا، ففرض عرب اليمن منذ القديم ســـيطرتهم على خطوط القوافل التجارية في منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي، فكانت البضـــائع التي تجلب من الهند تشحن عبر البحر الأحمر، وشيد اليمنيون مملكتهم مستخدمين البحر الأحمر على غرار مملكة معين وسبأ.

ومع ظهور الإسلام والفتح الإسلامي للجزء الجنوبي من البحر الأحمر، بعد أن قام قراصـــنة إثيوبيا بإحراق ميناء جدة ففتح عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه جزيرة دهلك وميناء ومصوع[3]، وبعد فتح عمر بن العاص لمصر سنة 21هـــــ، قرر عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه إعادة وصل البحر الأحمر بالنيل لإرسال القمح إلى الحجاز، فأمر بإنشاء قناة سميت بقناة أمير المؤمنين، وهذا ما ساهم في ازدهار تجارة الشرق عبر البحر الأحمر ومصر إلى الإسكندرية، وانتعشت تجارة مصر، نتيجة تعاون الهنود والعرب والمصريين في نقل التجارة من عدن إلى ميناء عيذاب.[4]

---

[1] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص106.

[2] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص112-113.

[3] – عبد الله، عبد المحسن السلطان، مرجع سابق، ص48.

[4] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص114.

وأثنـــاء العهـــد الأموي دخل بني أمية إلى دهلك، ومدوا نفوذهم هناك لحماية مكة المكرمة، وقام الأمويون والعباســيون بمسؤولية حماية الطرق التجارية في البحر الأحمر، وأقاموا العديد من القلاع في جزر دهلك.[1]

وخلال العهد الفاطمي ازدهرت التجارة الشرقية التي كانت تمر عبر مصر، ما أدى إلى ازدهار العديد من المدن المصرية، وتحولت إلى مراكز تجارية خاصة مدينة عيذاب، والقصـــير وأســـوان، مما دفع الســـلطات الفاطمية إلى العمل على تأمين الملاحة وحماية القوافل التجارية، وهذا ما ساهم في تسابق التجار الشرقيين والغربيين للتعامل مع الأسواق التجارية المصرية، فاكتسبت موانئ البحر الأحمر شهرة تجارية واسعة بسبب تحول طرق تجارة الشـــرق إليها، وأصبحت عدن محطة رئيسية لكل تجارة في المحيط الهندي، وأهم قاعد بحرية ترد إليها وتصـــدر منها الســـفن القادمة من البحر الأحمر والحبشـــة والهند والصـــين، مما أدى إلى امتلاء خزائن الدولة الفاطمية ومن بعدها الدولة المملوكية بخزائن الجوهر والطيب والأمتعة والسلاح والتوابل.[2]

البرتغاليون في البحر الأحمر خلال القرن 16م:

لأن التركيز على الوجود العثمـــاني في البحر الأحمر يســـتحيـــل دون العودة إلى توسعات البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي، وجب علينا أن نذكر أهم الحملات البرتغالية في المحيط الهندي والخليج العربي.

1-دوافع اهتمام البرتغاليين بالبحر الأحمر:

ســـعى البرتغاليون للسيطرة على البحر الأحمر، نتيجة لتظافر مجمعة من العوامل أبرزها:

[1] - محمد عثمان، أبو بكر، مرجع نفسه، ص116.

[2] - عبد العزيز، ســـالم، البحر الأحمر في التاريخ الإســـلامي، مؤســـسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1993، ص82.

أ-الدينية:

- القيام بحرب صـــليبية ضـــد المسلمين، خاصة بعد أن تخلص البرتغاليون من الحكم الإســـلامي في الأندلس، وبدأ العثمانيون في التوســـع داخل أوروبا وسيطرة المماليك والدولة العثمانية على أهم الطرق التجارية.[1]
- دعم البابوية للدول الأوروبية في مهاجمة العالم الإســـلامي من المؤخرة وتجسيد ذلك في مراســـلات البابا نيقولا الخامس مع الأمير هنري الملاح: «إن سرورنا العظيم أن نعلم أن ولدنا هنري الملاح قد دفع باســـم الله إلى أقصـــى البلاد، وأبعدها عن مجال علمنا، كما دخل بين أحضان الكاثوليكية وأعداء المسيح مثل: العرب والكفرة».[2]

وقـــد عبر القائد البرتغالي البوكيرك في يومياته: «كان هدفنا الوصـــــول إلى الأماكن المقدســـة للمســـلمين واقتحام المسجد النبوي وأخذ رفاة النبي محمد ﷺ كرهينة يتساوم عليها العرب من أجل استرداد القدس».[3]

كما قال في نفس الخطبة: «الخدمة الجليلة التي سنقدمها للرب: بطردنا العرب من هذه البلاد، وبإطفائنا شـــعلة شيعة محمد، بحيث لا يرفع لها هنا بعد ذلك لهيب، وذلك لأننا على يقينن إننا لو انتزعنا تجارة ملقا، هذه من بين أيديهم لأصبحت كل من القاهرة ومكة إثرا بعد عين».[4]

ب-الاقتصادية والسياسية:

- كان هدف البرتغاليين هو انتزاع تجارة التوابل من يد العرب، وذلك بالسيطرة على مياه المحيط الهندي والثغور المطلة عليه، فهي في نظرهم الطريقة المثلى لإضعاف العرب والقضاء عليهم والالتفاف على العالم الإسلامي، ويدل على ذلك ما ورد في رســـالة عمانويل الأول إلى البابا يوليوس الثاني: «إنه ليس عازما على المضي في

---

[1] - أحمد سالم، سالم، استراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2012، ص140.

[2] - غسان علي محمد، الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن 10هـــــ/16م، رسالة ماجســـتير في التاريخ الإســـلامي الحديث، كلية الشـــريعة والدراسات الإسلامية، جامعة عبد العزيز، مكة، السعودية، 1980-1981، ص18.

[3] - علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، سلسلة صفحات من التاريخ الإسلامي، ع6، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2001، ص192.

[4] - أحمد سالم، سالم، مرجع سابق، ص146.

قتل التجارة المملوكية فقط بل لأنه سيجاهد في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفا لمدافعه وجنوده».[1]

- البحث عن طريق جديد للتجارة، خاصـــة وأن طرق التجارة كانت تحت ســـيطرة العالم الإسلامي، بالإضافة إلى أن أسعار تلك البضائع كانت عالية جدا، بسبب كثرة الرســـوم الجمركية[2] وهذا ما أشار إليه زين الدين الملبياري: «وسبب وصولهم إلى ملبيـــار* على ما يحكى عنهم طلب بلاد الفلفل لتختص تجارته بهم، فإنهم ما كانوا يشترونه إلا من الذين يشترونه ممن يجلبونه من مليبار بوسائط».[3]
- السيطرة على المداخل البحرية العربية الاستراتيجية في البحر الأحمر.
- الســـيطرة على طرق الملاحة البحرية التجارية[4]، والمتمثلة في مالقا عند المحيط الهندي، وعدن عند مدخل البحر الأحمر، وهرمز عند مدخل الخليج العربي، وهذا رغبـــة منه في إقامة إمبراطورية كبيرة لضـــرب الوجود الإســـلامي في البحار الشرقية.[5]
- كما أن تحويل التوابل كعامل اقتصـــادي هو في الأساس لهدم الاقتصاد الإسلامي، ومن خلاله يتم هدم قوة المماليك أصحاب السلطة على الطرق التجارية، وذلك حتى يتمكنوا من التغلغل داخل المشرق العربي.[6]

---

[1] – محمد محمود، الســروجي، المقاومة العربية الإسلامية للبرتغاليين في الخليج العربي الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية، ندوة رأس الخيمة التاريخية (2)، ســلسلة الندوات التاريخية، العدد 2، مركز زايد للدراسات والوثائق، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص233.

[2] – محمود، شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن، 2005، ص164.

* – مليبار: مدينة تقع في الزاوية الغربية الجنوبية من شبه القارة الهندية، تسمى حاليا كيرالا، وهي كلمة فارسية الأصل تعني البلاد كثيرة الجبال، وأول من أطلق عليها هذا الاسم هم الملاحون القادمون من بلاد الفرس في القرن 5هـ، ينظر إلى المليباري، تحفة المجاهدين، ص30–31.

[3] – المليباري: أحمد بن زيد الدين، تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، تح: محمد سعيد الطريحي، مؤسسة الوفاء، بيروت–لبنان، 1975، ص405.

[4] – محمد، كريم إبراهيم، الحملة العثمانية على عدن 945هـــ/1538م أسبابها ونتائجها، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج4، ع2، بغداد، العراق، 2014، ص393.

[5] – زهير قاســم، محمد، الثورات الخليجية ضــد الاحتلال البرتغالي في النصف الأول من القرن 16، مجلة سامراء، مج4، ع9، بغداد، العراق، 2008، ص123.

[6] – غسان، محمد علي، الرمال، مرجع سابق، ص20.

2-الحملات البرتغالية للسيطرة على البحر الأحمر خلال القرن 16م:

أ-في عهد فاسكودي غاما (1498-1502م):

بدأ وصـــول البرتغاليون إلى الهند في عهد فاســكودي غاما، ويصف لنا المليباري وصـــولهم إلى الهند بقوله: «ابتدأ وصولهم إلى مليبار في سنة أربع وتسعمائة من الهجرة، ووصلوا إليها في 3 مسماريات، ثم خرجوا منها إلى بندر كاليكوت عن طريق البر وأقاموا فيها شهورا يتعرفون على أخبار مليبار وأحوالهم».[1]

كما قام دي غاما باســتهداف الملاحة الإســلامية والسفن التجارية في الهند وخليج عدن، وقام بتكليف أحد قادته بالإقامة عند مدخل البحر الأحمر لمهاجمة السفن الإسلامية، ومنعها من المتاجرة في المحيط الهندي.[2]

ب-في عهد دي ألميدا (1502-1507م):

تمثلت أهداف مهمة دي ألميدا في إغلاق كل الطرق المؤدية إلى الهند، وأســـواقها في وجه العرب والمســلمين، واســتئصال الوجود العربي الإسلامي التجاري في المحيط الهندي، وقام بمراقبة المراكب التجارية، وفرض عليها أداء مبالغ معينة مقابل الحصـــول على تراخيص للتجارة.[3]

ج-في عهد البوكيرك (1507-1513م):

بدأ البرتغاليون يفكرون في الســـيطرة على الخليج العربي، فقام البوكيرك في عام 1507، بمهاجمة مدينة مســقط، وقامت بقصف المدينة وتخريبها وتدمير سفنها، وسيطر على صحار ورأس مسندم في سواحل عمان.[4]

---

[1] - المليباري، مصدر سابق، ص245.

[2] - أحمد سالم، سالم، مرجع سابق، ص 144-145.

[3] - محمـــد حميد، الســـلمان، الغزو البرتغالي للخليج العربي والجنوب العربي (1508-1565)، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2000، ص56.

[4] - أحمد زكريا، الشـــلق، العرب والدولة العثمانية من الخضـــوع للمواجهة (1516-1916)، مصـــر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2002، ص107.

ثم قام بعد ذلك البوكيرك بحملة على هرمز سنة 1507، والتي استسلمت وخضعت لسيادة البرتغاليين[1]، وعندما تولى البوكيرك منصب نائب الملك في الهند عام 1509، زاد تركيزه على السيطرة على سواحل الهند والشرق الأقصى والجنوب العربي، فاحتل جوا عام 1510، وملقا 1511، وماكاو على الساحل الصيني.[2]

وعن هذا يذكر ابن الديبع: «وفي هذه السنة قويت شوكة المفسدين في البحر بطريق الهند، وهرمز وكان أعظمهم ضررا طائفة الأفرنج، فإنهم فعلوا بالمسلمين الأفاعيل، وأخذوا كل سفينة غصبا، واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم، وفعلوا المنكر عيانا واستمروا في ذلك زمانا».[3]

ضم عدن في عهد البوكيرك 1513م:

قام البوكيرك بحملة لاحتلال عدن، باعتبارها مفتاح البحر الأحمر وعنها يذكر صاحب كتاب روح الروح: «ووصلوا إلى عدن في 17محرم، وأمر الأمير أهل عدن بتحصين البلد والأخذ بالحزم...فخرجوا إليهم وقتلوا منهم بضعة وأسروا أربعة وهزموا الإفرنج، وحين عرفوا بأنهم لا طاقة لهم بأخذ المدينة، أحرقوا المراكب التي كانت في البندر...ثم ساروا إلى باب المندب ثم إلى المخا، ومروا ولم يدخلوا شيئا من البنادر، ثم ساروا إلى الحديدة، وحاولوا أن يدخلوها، فلم يقدروا ثم ساروا إلى جزيرة كمران ودخلوها في أوائل صفر».[4]

---

[1] – محمد محمود، السروحي، مرجع سابق، ص237.

[2] – محمد حميد، السلمان، مرجع سابق، ص59.

[3] – ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد، دار العودة، بيروت، لبنان، 1983، ص301.

[4] – شرف الدين، عيسى بن لطف الله، روح الروح فيما حدث من المائة التسعة من الفتوح، تح: إبراهيم بن أحمد، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، اليمن، 2003، ص29.

ونظرا لأهمية عدن في خطة البوكيرك لإغلاق البحر الأحمر، عاود الهجوم عليها، بعد أن قام بإصـــلاح سفنه في جزيرة عمران، لكن فشل مرة أخرى، توفي البوكيرك أثناء عودته إلى الهند نتيجة لعاصفة بحرية حطمت سفنه.[1]

د-في عهد لوبو سواريز 1517م:

خلف البوكيرك في منصب نائب ملك الهند لوبو سواريز الذي قام بحملة على عدن في 1517م، وتحالف مع حاكمها مرجان الطافري بعد أن أخبره بأنه جاء لمهاجمة جدة.[2]

ويذكر بامخرمة في كتابه قلادة البحر: «فقدموا وحطموا في البندر، فأرســـل إليهم الأمير رسولا معه كباش وفاكهة، فردوا ذلك أنهم ما جاؤوا لأخذ البلد، فإن تسلموها طوعا وإلا أخـــذنـــاها قهر»، ثم توجهوا نحو باب المندب، ثم المخا ثم الحديدة ثم دخلوا جزيرة كمران فنهبوها.[3]

ثم قام البرتغاليون بعد ذلك بالهجوم على الموانئ العربي، ودخلوا فريات في عمان وقاموا بمجزرة رهيبة، وفي سنة 1516م توجهوا نحو البحرين والأحساء[4]، ثم جاء لويس ســـكويرا على رأس حملة جديدة أوائل ســـنة 1520م تمثلت أهدافها في الدخول إلى جدة، وإنزال بعثة دبلوماســـية في الحبشـــة، لكنهم فشـــلوا في ذلك بسبب ظهور العثمانيين في البحـــر الأحمر.[5] (ينظر الملحق رقم (01)، ص65.

[1] – محمد حمد، السلمان، مرجع سابق، ص270.

[2] – محمد حمد، السلمان، مرجع سابق، ص275.

[3] – ابن بامخرمة، أبي محمد الطيب بن عبد الله، قلادة البحر في وفيات أعيان الدهر، مج6، عني به: بوجمعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، 2008، ص567.

[4] – أحمد سالم، سالم، مرجع سابق، ص147.

[5] – المليبار، مصدر سابق، ص175.

الفصل الأول

الوجود العثماني في البحر الأحمر خلال القرن 16م

المبحث الأول: الصراع المملوكي البرتغالي في البحر الأحمر (15071515م)

أ-حملة حسين الكردي (1505-1509م)

ب-حملة الهند الثانية 1515مم:

المبحث الثاني: ضم مصر والحجاز للدولة العثمانية 1517م

أ-ضم مصر 1517م

ب-انضمام الحجاز إلى الدولة العثمانية 1517م

المبحث الثالث: الحملات العثمانية للسيطرة على البحر الأحمر

أ-اليمن والمحيط الهندي

-حملة مصطفى بيرم إلى الهند 1530م

-حملة سليمان باشا الخادم على اليمن وديو 1538م

ب-الخليج العربي

-حملة بيري ريس 1551م

-حملة مراد ريس في الخليج العربي 1552م

-حملة علي ريس في الخليج العربي 1553م

المبحث الأول: الصراع المملوكي البرتغالي في البحر الأحمر (1507-1515م)

كان للمماليك اهتمام خاص بما يجري في المحيط الهندي والبحر الأحمر، خاصة فيما يتعلق منها بطرق التجارة العالمية، لأنها كانت تدرك مدى خطورة نجاح البرتغاليين في السيطرة على الهند وضررهم بالمصالح الاقتصادية للدولة، ولهذا أراد المماليك إثبات وجودهم في البحر الأحمر والمحيط الهندي لحماية طرق التجارة الشرقية.[1]

لقد بدأ سلاطين الهند بمراسلة السلطان الغوري* منذ سنة 1501م من أجل التدخل لطرد البرتغاليين وإنقاذ التجارة الهندية من أيديهم، فكان رد فعل الغوري أن قام بإرسال رسالة إلى الباب يوليوس الثاني لإيقاف التعدي على السفن الإسلامية والمسلمين، وهذا ما رفضه البرتغاليون واستمروا في مهاجمة السفن الإسلامية، فقرر الغوري التوجه نحو الخيار العسكري وقام بمراسلة ملوك الهند ليكونوا عونا له في قتال البرتغاليين.[2]

أ-حملة حسين الكردي (1505-1509م):

جهزت هذه الحملة بعد اتفاق بين السلطان محمود** سلطان كجرات والسلطان السامري سلطان كاليكوت، والسلطان الغوري، من أجل القيام بهجوم مشترك على القوات

---

[1] – محمد، حميد السلمان، مرجع سابق، ص67.

* – الغوري: هو الأشرف أبو النصر قانصوا الغوري من سلاطين المماليك البرجية ولد سنة 850هـ/1446م، بويع السلطة سنة 1500م، توفي في معركة مرج دابق سنة 1516م، ينظر إلى: إبراهيم الخوري، توسع الدولة العثمانية في الخليج العربي ونتائجه الاقتصادية، ندوة رأس الخيمة (2)، مرجع سابق، ص207.

[2] – ياسر، عبد الجواد المشهداني، النفوذ البرتغالي وأثره على الهند الإسلامية (1498—1514م)، مجلة التربية والتعليم، مج 14، ع 2، بغداد، العراق، 2007، ص32.

** –السلطان محمود (1458-1511م): كان سلطان على كجرات قبل بهادرشاه، ينظر إلى: عبد القادر بن الشيخ بن عبد الله العيدروسي، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تح: أحمد حالو، محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، 2001، ص137.

البرتغـــالية واســـتئصـــال قواعدها من كاليكوت[1]، كما اتفق التجار العرب المقيمون في كاليكوت على طلب المســـاعدة من سلطان مصر، فأرسل حملة بقيادة حسين الكردي* سنة 1505م من اجل تحصـــين ســـواحل البحر الأحمر، خاصة بعد أن أعلن البرتغاليون على عزمهم مهاجمة المدن المقدسة في الحجاز.

قام الأمير حســـن الكردي قبل توجهه للهند ببناء حصن منيع في جدة، ثم توجه إلى ســـواكن واستولى عليها، ثم رجع إلى جدة وبقي فيها إلى غاية موسم السفر إلى الهند، ثم اتجه إلى بعض الموانئ اليمنية، ثم بقي بعض الوقت في عدن قبل أن يتجه صوب الهند.[2]

وعن وصـــول حســـين الكردي إلى اليمن يذكر ابن الدبيع في كتابه قرة العيون: «وصـــل الأمير حسين المصري من جدة إلى الجهات اليمنية، ولم يعلم أحد مقصوده حين مر بباب المندب، فلما اقترب من عدن قصدوا واليها مرجا الظافري، واستأذنه في الدخول إليها والتزود بما يحتاجه من الماء والحطب ثم توجه مع عساكره إلى ديو لقتال الإفرنج».[3]

وعندما وصل حسين الكردي إلى ديو بالهند (913هـــ-1507م) جعل منها قاعدة يســـتطيع من خلالها الاتصـــال بالقوات الهندية، ومن ثم القيام بهجوم مشـــترك ضـــد البرتغاليين[4]، ســـارت الحملة من ديو مع أسطول من السفن التجارية الهندية والعربية تقل

---

[1] – حســـن، صـــالح شهاب، البحرية العثمانية ومهمة التصدي للمخطط البرتغالي في الخليج العربي، الصـــلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية، ندوة رأس الخيمة التاريخية (2)، ســـلســـلة الندوات التاريخية، ع2، مركز الدراســـات والوثائق، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص85.

*– حســـين الكردي: أحد القادة العسكريين في دولة المماليك وكان حاكما لمدينة جدة برز كقائد بحري لأسطول المماليك في مواجهة البرتغاليين، ينظر إلى حسن صالح شهاب، مرجع سابق، ص86.

[2] – المليباري، مصدر سابق، ص167.

[3] – ابن الدبيع، عبد الرحمن بن علي، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوع، سلسلة من تراثنا، ع 10، المكتبة اليمنية الحوالية، صنعا، اليمن، 1988، ص454.

[4] – ياسر عبد الجواد، المشهداني، مرجع سابق، ص33-34.

عســـاكر سلطان كجرات مالك بن إياس* حاكم ديو إلى كليكوت لتنظم إلى قوات السلطان السامري، فالتقت في الطريق بـــــ8 من السفن البرتغالية عند ميناء شيول، فنشبت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة البرتغاليين وقتل لوراسنو دالميدا.[1]

لذلك حشـــد دالميدا معظم القوات البرتغالية في كوشـــى وتوجه إلى ديو في السنة التالية 914هـــ-1509م، ويقال أن حاكم ديو نصح حسين الكردي بعدم الخروج لمواجهة الأسطول البرتغالي، ولكن الأمير الكردي لم يستمع لنصيحته وخرج لمقابلة البرتغاليين في البحر، وهذا ما أدى إلى هزيمة حســين الكردي في موقعه ديو فلجأ إلى السلطان محمود لاعتقاده أن حاكم ديو قد يســلمه للبرتغاليين بعد أن صـــالحهم وقام بتسليمهم الأسرى من المعركة الأولى[2]

حملة الهند الثانية 1515م:

على الرغم من محاولة المماليك التصـــدي لهجمات البرتغاليين، إلا أنهم لم يفلحوا في مواصـــلة هذا التحدي بشـــكل مؤثر، ولجأ الســـلطان المملوكي قانصوه الغوري إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني لمساعدته في مواجهة البرتغاليين، وطلب منه إرسال بحارة لمســـاعدته في القضاء على توغل البرتغاليين كما طلب منه إمداده بمستلزمات بناء السفن وبعض الأســـلحة النارية مثل: المدافع والبارود[3]، فأمده السلطان بايزيد بالأخشاب وألفين من التجارة الترك تحت إمرة سليمان ريس وثلاث مائة مدفع وأربعين قنطارا من البارود، وبالآلات والمعدات التي تحتاج إليها الســـفن[4]، وهذا ما ذكره المؤرخ المملوكي ابن إياس

---

* -مالك بن إياس: من أصل روسي وقع أسيرا في يد العثمانيين وتم بيعه إلى ملك كجرات وبقي هناك وترقى حتى أصبح حاكما على ديو، ينظر الحسن صالح شاهب، مرجع سابق، ص117.

[1] – حسن، صالح شهاب، مرجع سابق، ص87.

[2] – المرجع نفسه، ص91.

[3] – فريدون، إمجان، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، حقائق في ضوء المصادر، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2014، ص225.

[4] – حسن صالح، شهاب، مرجع سابق، ص82.

حيث قال: «وفيه حضر يوسف العادلي، وكان السلطان أرسله إلى بلاد بني عثمان ليشتري أخشـــابا وحديدا وباردوا، فلما بلغ ابن عثمان ذلك رد المال الذي كان مع يوسف العادلي وقال أنا أجهزه من عندي».[1]

وقد بدأ تجهيز هذه الحملة بعد هزيمة حسين الكردي في ديو سنة 1509م، ولكن لم يتم تجهيزها إلى غاية 1515م، وكان يشـــاع عند تجهيزها أنها ذاهبة للهند، ولهذا عرفت بحملة الهند، وكانت هذه الحملة تهدف إلى تأمين التحصـــينات العسكرية في البحر الأحمر خوفا من معاودة البرتغاليين الهجوم على جدة، لكن غير المماليك اســـتراتيجيتهم بعد فشل حملـــة البوكيرك على عـــدن 1513، فقرروا إغلاق البحر الأحمر أمام الغزو البرتغالي واتخاذ ميناء عدن كقاعدة لنشاط المماليك البحري لقربها من قواعد البرتغاليين.[2]

انطلقت الحملة بقيادة ســـليمان ريس إلى جدة فانضم إليها حسين الكردي، واتجهت نحو الجنوب فاســـتولت على زيلغ* ثم اســـتقرت في جزر كمران، ليبدأ حســـين الكردي التوغـــل داخـــل اليمن، وطلب المســـاعدة من الســـلطان عامر بن داود الطاهري لقتال البرتغـــاليين فلم يســـتمع إليه ورفض طلبه[3]، عندما علم بأن الحملة تنوي البقاء في عدن لتحصـــينهـــا ضـــد البرتغـــاليين، وهذا ما أدى إلى اندلاع الحرب بين المماليك والدولة الطاهرية.

دخلت قوات حســـين الكردي إلى مدينة زبيد عام 922ه، ثم قرر حسين الكردي أن يحاصـــر مدينة عدن من جهة البر، على أن يقوم الريس ســـليمان بمحاصـــرتها من جهة

---

[1] – ابن إيـــاس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، تح: محمد مصـــطفى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1984، ص196.

[2] – محمد، حميد السلمان، مرجع سابق، ص272.

* – زيلغ: مدينة صومالية تقع في الشمال الغربي لعدن عرفت بأهميتها التجارية الكبيرة خاصة العبيد والبخور والذهب، تعتبر بوابة الإســـلام في شرق إفريقيا مقر سلطنة عدل الصومالية، ينظر إلى: زيلغ المبناء المهجور، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، 3ديسمير 2016.

[3] – محمود، شاكر، مرجع سابق، ص322.

البحر، لكن هذه الحملة فشـــلت في الدخول إلى عدن، فرجع حســـين الكردي مع سليمان الريس إلى مصـــــر، بعد دخول ســـليم الأول إلى مصـــــر، دون أن تحدث أي معركة مع البرتغاليين.[1]

[1] – حسن صالح، شهاب، مرجع سابق، ص91.

المبحث الثاني: ضم مصر والحجاز للدولة العثمانية 1517م

أ-ضم مصر 1517:

بعد فشـــل المماليك في حماية البحار الشرقية وطرق التجارة الإسلامية وفشلهم في تأمين البحر الأحمر وحماية الأماكن المقدســـة الإسلامية في الحجاز نظرا لبوادر الضعف في ســـلطة المماليك والاضـــطرابات الداخلية وتدهور الاقتصاد المملوكي الذي كان يعتمد أســـاسا على عوائد مرور القوافل التجارية عبر البحر[1] ولهذا اعتبر العثمانيون أن واجبهم الأول يتلخص في الدفاع عن الأقاليم الإسلامية ضد الأخطار الأجنبية، واعتقدوا أنهم أقدر من الغوري والدولة المملوكية في الدفاع عن المنطقة في صـــف واحد ضـــد أي اعتداء أجنبي، ولهذا قرر ســـليم الأول التوجه إلى المشـــرق لحماية ديار الإســـلام من الخطر البرتغالي.[2]

عقد سليم الأول نيته على ضم مصر، فجمع علماء الترك أهل الفتوى على المذاهب الأربعة وطلب منهم أن يفتوه في فتح مصـــر، وعرض عليه الصدر الأعظم سنان أربعين فتوى جاءت من مصر، وقرأ هذه الفتاوى إلى علماء الترك وبينوا ما جاء فيها وقالوا مادام علماء مصر وكبار أولياء الله أفتوا بوجوب حرب الجراكسة فنحن أولى بهذا القتال.[3]

وجاء في مضمون الفتوى: «ما الواجب فعله تجاه من يدعي أنه من مملوك الإسلام وأنه خادم الحرمين الشـــريفين ومكة والمدينة، ومع ذلك ينضـــم إلى القزلباش الذين سبو الخلفاء الراشدين، وحينما يحاربهم من يريد منع هذا السب عن الخلفاء الراشدين يؤازرهم صـــاحب مكة والمدينة ويرســـل العون إلى القزلباش وينبغي منع هذا السب والشتم، وأن يحمل بالسيف على مثل هذا السلطان الذي يمنع هذا السب، فقتاله فرض ويجب أن يخلع،

---

[1] – أحمد سالم، سالم، مرجع سابق، ص148.

[2] – جلال، يحي، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، مصـــر، 1965، ص32.

[3] – أوليا جلبي، الرحلة إلى مصـــر والسودان والحبشة، ج1، تر: حسين مجيب المصري، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2006، ص156.

ومن يبايع الروافض على ذلك ينبغي إهدار دمه والإغارة على مملكته»، فحمل سـليم هذه الفتى وأرسلها مع 12 رسولا إلى السلطان الغوري، فدخلوا إلى ديوانه فرد عليهم بأنه قد سـبق للسلطان سليم أن قتل علاء الدولة صاحب ذو القدر، وقد أرسلكم بحجة أنكم رسل، وأمر بقتل عشرة منهم، وأطلق سراح اثنين وسلمهم خطاب الأمان وفيما يقول ما دمت حيا لن أمكنك من دخول مصـر وليكن اللقاء في سهل مرج دابق عند حلب، وإن كنت رجلا تعالى إلى ميداني، فاستشاط سليم غضبا وأمر بتجهيز الجملة.[1]

التقى الجيشان العثماني والمملوكي في يوم الأحد 14 أوت 1516م في مرج دابق ودارت بينهما معركة طاحنة، انتهت بهزيمة المماليك وقتل الغوري.[2]

بعد معركة مرج دابق، دخل السلطان سليم الأول إلى حلب، ومكث ببلاد الشام نحو أربعة أشهر، ونظر في أحوالهم، ثم استمر نحو الجنوب وفتح طريقه قلعة القدس وغزة ثم عقد مجلسا من القادة والأمراء وقرروا التقدم لفتح مصر، فلما وصل إلى السويس بلغه أن طومان باي الذي خلف الغوري قد قام بتجهيز الجيش لمنعه من دخول مصر، فأرسل إليه رسـالة جاء فيها بأن يبقيه على ملك مصـر مقابل التبعية للدولة العثمانية وضرب السكة باسـم السلطان[3] وجاء في هذه الرسالة: «عندما يصلكم حكمي الشريف واجب الاتباع فلا ينطرق الخوف أو الخشـية لخاطركم على أي وجه من الوجوه سواء أنت ومن تتبعك من الأمراء أو من عبيدك الخواص أو من خدمك أو من الأشـخاص النافعين...فلتتوجهوا إلى عتبتي السعيدة فالدولة والمستقبل فيها خلوص للنية وحسن العقيدة».[4]

---

[1] – أوليا جبلي، مصدر سابق، ص157.

[2] – أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشـأتها حتى نهاية العصـر الذهبي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005، ص220.

[3] – إسـماعيل، سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، المطبعة الأميرية، الإسكندرية، مصر، 1894، ص529.

[4] – أحمد فؤاد، متولي، الفتح العثماني للشـام ومصـر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1995، ص175.

رفض طومان باي مطالب السلطان العثماني سليم الأول، واستعد لملاقاة الجيوش العثمانية عند دخول بلاد الشام، فهزم في غزة، ووصلت جيوش سليم الأول إلى القاهرة في ذي الحجة 922ه/ جانفي 1517م.[1]

التقي الجيشان العثماني والمملوكي في الريدانية، ودارت بينهما معركة حامية، انتهت بهزيمة المماليك، وفرار سلطانهم، حيث لجأ إلى حسين بن مرعي في مدينة سخا بالغربية، فأبلغ ابن مرعي السلطان سليم عنه، وتم القبض عليه وشنقه على باب زويلة في 21 ربيع الأول 923هـ /13 أفريل 1517م[2]، وبهذا دخل سليم الأول إلى مصر ولقب بخادم الحرمين الشريفين، وخطبت له في مساجد القاهرة على أنه السلطان ابن السلطان، ملك البرين والبحرين، وكاسر الجيشين، وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين، الملك المظفر سليم شاه.[3]

ب-انضمام الحجاز إلى الدولة العثمانية 1517م:

أمر السلطان سليم بكتابة رسائل التبشير والفتح ومنح الأمان إلى مكة والمدينة وجدة وينبع، وبعد دخوله للقاهرة بيومين واستتباب الأمن لسليم في القاهرة، أرسل شريف مكة زين الدين بركات، ابنه أبا الحسن ومعه مشايخ الأغوات لتهنئته بالفتح وعرض الطاعة والولاء، وبعد أن قبل السلطان طاعة شريف مكة أرسل ابنه الأكبر محمد يطلب منه إبقاءه في الحكم.[4]

وعندما علم سليم بقدومه، أمر بإرسال الأغوات لاستقباله استقبالا حافلا، وقدم محمد ابن الشريف بركات بعض الهدايا للسلطان، ثم سلمه مفاتيح الأماكن المقدسة والآثار النبوية الشريفة الموجودة في مكة المكرمة، وهكذا أصبحت الحجاز تابعة للإمبراطورية

---

[1] – محمد فريد بيك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النفاش، بيروت، لبنان، 1981، ص193.

[2] – أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص124.

[3] – جلال، يحي، مرجع سابق، ص35.

[4] – أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص225.

العثمانية، وأقر سليم أن يبقى حكم الحرمين الشريفين على ما هو عليه، على أن يكون حكم مكة للشريف بركات ثم ابنه الأكبر محمد من بعده.[1]

وبهذا تحققت أمنية سليم الأول بأن يحكم الأماكن المقدسة حيث يذكر أوليا جبلي أنه عندما زار سليم الأول قبر الرسول ﷺ صاح صيحة عالية وهو يقول لقد اشتقت مرارتنا يا رسول الله، رفعنا من شأن الإسلام ويا له من شرف، ولكن شراكسة مصر الكفرة أضروا به، على عهد الله إذا توليت يسرلي أمري وفتحت لي مصر، فسوف أوقفها عليك، وأجعلها مخزنا للأطعمة الحجاز، وسأرسل إلى أمتك منها في كل عام الكسوة والصرة.[2]

[1] – أحمد فؤاد متولي، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص225.

[2] – أوليا جلبي، مرجع سابق، ص149.

المبحث الثالث: الحملات العثمانية للسيطرة على البحر الأحمر

تمثلت سياسة الدولة العثمانية في البحر الأحمر على ثلاث نقطا أولها الاهتمام بشؤون مصر البحرية والعمل على تجديد السفن والأسطول المصري، وعمل على تقويتها تحت راية الهلال العثماني، وثانيا توطيد النفوذ العثماني على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، وبالتالي ركزت جهودها على ضم عدن وإغلاق البحر الأحمر، وثالثا السيطرة على اليمن وجعلها خط دفاعي عن البحر الأحمر والأماكن المقدسة[1]، ولأن جوهر التواجد العثماني في البحر الأحمر يتمثل في السيطرة عليه وعلى مضيق باب المندب والمحيط الهندي ومضيق هرمز والخليج العربي قاد العثمانيين عدة حملات أبرزها:

أ-اليمن والمحيط الهندي:

نظر العثمانيين لليمن على أنها أحد المراكز الأساسية لتحقيق الأهداف العثمانية ضد البرتغاليين، ولأن السيطرة عليها تجعلهم يضمنون أمن الأماكن المقدسة، وكذلك جعلها قاعدة للوثوب على البرتغاليين في البحار الشرقية.[2]

أرسلت أول حملة بقيادة الريس سلمان عام 1520م إلى اليمن على رأس أسطول جهزه أمير جدة حسين بك، وكتب تقريرا تناول فيه أحوال الموانئ المطلة على البحر الأحمر والقلاع التي أنشأها البرتغاليون في الهند، والأوضاع البحرية للعديد من المدن، وأظهرت هذه التقارير أن العثمانيين عزموا في ذلك الوقت على الاهتمام بالبحر الأحمر والحبشة والمحيط الهندي بشكل جدي.[3]

ثم أرسلت حملة أخرى بقيادة سلمان ريس سنة 1523م بحملة إلى اليمن، بعد أن دخل البرتغاليون جزر كمران، فأخرج البرتغاليين من هذه الجزر واشترك في هذه الحملة

---

[1] – غسان علي، محمد الرمال، مرجع سابق، ص229.

[2] – أحمد سالم، سالم، مرجع سابق، ص224.

[3] – فريدون، إمجان، مرجع سابق، ص262.

5000 جندي بقيادة خير الدين حمزة بك وأسس هناك قاعدة بحرية وعين لحمايتها خوجه صفر ريس.[1]

حملة مصطفى بيرم إلى الهند 1530م:

بسبب المشاكل والفتن في اليمن بعد وفاة سليمان ريس، قرر الخروج إلى الهند والعمل في خدمة سلطان كجرات وجهاد البرتغاليين هناك، بعد أن قام بتحصين جزيرة كمران.[2]

ويذكر فطب الدين النهروالي: «أنه لما أحس بالفتن ترك اليمن وعين عليها واليا وتوجه إلى كمران مظهرا أنه يريد أن يبني بها قلعة، يدفع لها ضرر البرتغاليين، وأنه لما حصل زمن سفر المراكب إلى الهند، ركب سفينة وأخذ معه جماعة الأمير سليمان إلى الهند، ووفد على السلطان بهادر شاه، وذلك في سنة 936هـ فأكرمه السلطان غاية الإكرام وأعطاه قاعدة سلاطين الهند ولقبه رومي خان».[3]

حملة سليمان باشا الخادم* على اليمن وديو 1538م:

جاءت هذه الحملة بعد أن أرسل السلطان بهادر شاه سفيرا محملا بالهدايا إلى السلطان العثماني سليمان القانوني يطلب منه المدد والمساعدة ضد البرتغاليين، ووصل

---

[1] – يلماز، أوزاتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مج1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988، ص326.

[2] – غسان علي، محمد الرمال، مرجع سابق، ص237.

[3] – النهراولي، قطب الدين بن أحمد، غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات دار اليمامة، الرياض، السعودية، 1967، ص55.

* – سليمان باش الخادم: سياسي عثماني في عهد السلاطين بايزيد الثاني، سليم الأول، سليمان القانوني، عين حاكما على مصر في الفترة 1515–1538م، أو الصدر الأعظم 1541–1544م، اشتهر بحملته على عدن وحصاره لديو سنة 1538م، ينظر إلى بجوي إبراهيم أفندي، تاريخ بجوي إبراهيم، ص264؛ وإبراهيم الخوري، توسع الدولة العثمانية في الخليج العربي ونتائجه الاقتصادية، مرجع سابق، ص212.

السفير إلى أدرنة سنة 943هـ-1536م، فأرسل السلطان القانوني أوامره إلى سليمان باشا لتجهيز حملة بحرية ضد البرتغاليين.[1]

وجاء في نص الرسالة: «عليك يابيك البكوات بمصر سليمان باشا، أن تقوم فور تسلمك أوامرنا هذه بتجهيز حقيبتك وحاجاتك وإعداد العدة بالسويس للجهاد في سبيل الله، حتى إذا تهيأ لك إعداد أسطول وتزويده بالعتاد والذخيرة وجمع جيش كاف، فعليك أن تخرج إلى الهند وتستولي ونحافظ على تلك الأجزاء، فإنك إذا أقطعت الطريق وحاصرت السبل المؤدية إلى مكة والمدينة بحيث تتجنب سوء ما فعل البرتغاليون وأزلت رأسهم في البحر».[2]

وقيل أن حملة سليمان باشا جهزت خلال مدة قصيرة، ويعود ذلك إلى تزايد أعمال القراصنة في خليج العرب والبحر الأحمر، ومد البرتغاليين للصفويين بالمعونات العسكرية إثر سقوط بغداد بيد العثمانيين سنة 1534م، وقتل البرتغاليين للسلطان بهادر شاه المؤيد للعثمانيين، بالإضافة إلى استنجاد عامر بن داود بالعثمانيين ضد الزيديين[3]، حيث يذكر الموزعي: «وجه مولانا السلطان سليمان من قبل حضرته العليا وأعتابه السنية المحمدية سليمان باشا بجيوش عظيمة وإعداد جسيمة إلى الهند وأمره بالتعريج على ديار اليمن ليصلح منها ما فسد ويطفئ نار الفتن لكون السلطان عامر بن داود كان قد رفع إلى الأبواب العليا ثعلب الإمام شرف الدين وطلب منه أن يمده بعساكر سلطانية».[4]

انطلقت حملة سليمان باشا سنة 945هـ-1538م، ووصلت إلى عدن فطلب حاكم عدن عامر بن داود مساعدته ضد الإمام يحي شرف الدين، فرد عليه بالموافقة، ودعاه

---

[1] – بجوي، إبراهيم أفندي، تاريخ بجوي إبراهيم التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الأول، تر: ناصر عبد الرحيم حسين، ج1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2015، ص266.

[2] – غسان علي، محمد الرمال، مرجع سابق، ص238.

[3] – محمد كريم، إبراهيم، مرجع سابق، ص401.

[4] – الموزعي، شمس الدين عبد الصمد، الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة عثمان، تح: عبد الله محمد الحبشي، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986، ص24.

لزيارته في السفينة العثمانية، إلا أنه قبض عليه وأعدمه هناك[1]، حيث يقول النهروالي: «فلما بلغ وصول سليمان باشا إلى صاحب عدن عامر بن داود فتح له باب عدن، وأمر أن يزين وتوجه هو ووزيره للسلام عليه فبمجرد أن رأى سليمان باشا أبواب عدن قد فتحت، أمر عسكره بدخول عدن، فلما وصل إليه ومن معه خلعا، ثم أمر بصلبهم على الصواري».[2]

في حين يرى الموزعي أن سبب غدر سليمان باشا بالسلطان عامر بن داود هو ما بلغه من الإمام شرف الدين، على أن عامر بن داود مداهن للبرتغاليين حيث يقول: «فعرج مولانا سليمان باشا بعساكره حال ذهابه إلى عدن فهيأ له السلطان عامر بن داود الضيافة وسائر أنواع الإتحاف، وقد كان الإمام شرف الدين وولده مطهر حاولا قتل السلطان عامر بن داود، فلم يتمكن أحد منهما، فلما بلغهما وصول سليمان باشا إلى عدن كتابا له عامر بن داود مداهن للإفرنج، فوقع كلاهما في قلب سليمان».[3]

بعد أن تمكن سليمان باشا من الدخول إلى عدن توجه إلى "ديو"، وعندما وصل هناك أرسل رسولا إلى الملك محمود شاه فطلب منه إرسال المواد الغذائية والمجيئ بالمدد، وفي الوقت نفسه شرع في محاصرة القلاع التي شيدها البرتغاليون، وضربها لمدة شهرين ونصف، ونتيجة خوف الملك محمود من أن يعمل معاملة عامر بن داود رفض إرسال المؤن إلى سليمان باشا، فاتفق مع البرتغاليين، وهذا ما دفع سليمان باشا بالرجوع إلى اليمن.[4]

في حين يرى يلماز أورتونا أن محمود شاه كان يعينه في المقام الأول أن يحفظ على شؤونه الداخلية، وهذا ما أدى إلى اتفاقه مع البرتغاليين، وقام بالتظاهر بحصوله على

---

[1] – محمود، شاكر، مرجع سابق، ص323.

[2] – النهروالي، مصدر سابق، ص80-81.

[3] – الموزعي، مصدر سابق، ص26.

[4] – بجوي، إبراهيم أفندي، مصدر سابق، ص268.

رسالة محررة باللغة البرتغالية تقول أن أسطولا برتغاليا مكونا من 300 قطعة على وشك الوصول إلى ديو، وعرضها على سليمان باشا، واقتنع لعدم معرفته بالقطر، ولأن الوحدات الكجراتية كانت تتظاهر بمساعدة العثمانيين، بعد ذلك تخلق اضطرابات عديدة[1]، وهو ما ذهب إليه النهروالي بقوله: «لقد شاع غدرة بصاحب عدن في أطراف البلاد، وأكناف العباد، وسبقه خبر هذا الغدر إلى بنادر الهند، وأشاع خدوا ندخان* أنه أمسك قاصد الفرنج وأخذ كتبهم، فأرسل سليمان باشا يتحقق من الخبر، فأرسل إليه المكتوب الذي اصطنعه».[2]

ويذهب المليباري أن سبب رجوعه إلى اليمن يعود إلى خوفه من البرتغاليين حيث يقول: «فشرع في حرب ديو وكسر أكثر القلعة بالمدافع السلطانية، ثم ألقى الله هبة الأفرنج في قلب سليمان باشا، فرجع من غير فتح إلى مصر ثم إلى الروم».[3]

حاول العثمانيون التوسع في اليمن منذ عام 1539م، ما أدى إلى وقوع صدامات مع الإمام الزيدي، واستطاعوا على المنطقة، فضموا تعز عام 1540م، واستطاعوا السيطرة على المنطقة الممتدة من تعز جنوبا حتى جيزان شمالا، وبعد أن سيطروا على صنعاء، وتوصد مركزهم في اليمن وتم لهم السيطرة على معظم أراضيها.[4]

ب-الخليج العربي:

منذ أن فتح العثمانيون العراق عام 1534م، اتجهت قواتهم بقيادة إياس باشا عام 1546م جهة البصرة، لتضعها تحت النفوذ العثماني ومن ثم بدأوا يتطلعون إلى الخليج

---

[1] – يلماز، أوزتونا، مرجع سابق، ص84.

* – خدوا ندخان: لقب أطلق على ملك الهند محمود شاه، ينظر إلى النهروالي، مصدر سابق، ص84.

[2] – النهروالي، مصدر سابق، ص84.

[3] – المليباري، مصدر سابق، ص287.

[4] – أحمد سالم، سالم، مرجع سابق، ص247.

العربي، ونهضـــوا لتحرير المناطق العربية، خاصـــة بعد اســـتنجاد حاكم كجرات ودلهي والقطيف بسليمان القانوني.[1]

لقي العثمانيون تجاوبا كبيرا من عرب الخليج للاحتماء بزعامتهم الإســـلامية حيث أن ســـكان القطيف والإحســـاء، أعلنوا أنفسهم رعايا عثمانيين وأكدوا رفضهم وخضوعهم لمملكة هرمز التي كانت تعاني من الاحتلال البرتغالي، كما ســـبق لسكان البحرين إعلان خضـــوعهم للدولة العثمانية بعد فتح العراق عام 1534م، واعتبر العثمانيين المناطق التي أعلنت ولاءها لهم إيالة عثمانية وأطلقوا عليها اسم إيالة الإحساء، وعينوا عليها بيلربايا.[2]

وسير العثمانيون عدة حملات لفرض سيطرتهم على الخليج العربي من أبرزها:

-حملة بيري ريس 1551م:

اضطر العثمانيون لتوجيه أسطول قوي بقيادة بيري رايس* لإقرار الأمور في عدن وتحصـــينها، وإقرار الأمور فيها وحفظ هيبة الدولة[3]، ثم توجه بيري رايس سنة 1551م مع أسطول مكون من 30 سفينة للاستيلاء على جزيرة هرمز وجعلها نقطة يلتجأ إليها في حالة الحاجة[4] فحاصـــر مدينة مســـقط لمدة شـــهر وأجبر حاكمها جوي دي لســـبوا على الاســـتســـلام هو الحامية، ثم اتجه بعد ذلك إلى هرمز، واستولى عليها ماعدا القلعة التي تحصـــن بها القائد البرتغالي، وبعد ذلك توجه إلى البصرة بعد أن أصابت سفنه الكثير من الأضرار، وعندما بلغته أنباء وصول النجدة البرتغالية ترك معظم سفنه في البصرة، وعاد

---

[1] – محمد حسن، العيدروس، السياسية العثمانية تجاه الخليج العربي، دار المتنبي للطباعة والنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1980، ص9.

[2] – جمال زكريا، قاســـم، دراســـات في تاريخ الخليج العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصـــر، 2001، ص76.

* – بيري ريس (1465-1555): أحمد محي الدين بيري، هو قبطان وراســـم خرائط عثماني اشتهر بخريطته في رسم خرائط السواحل، حسن صالح شهاب، مرجع سابق، ص107.

[3] – أحمد سالم، سالم، مرجع سابق، ص248.

[4] – محمود الســـيد الدغيم، تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهد الخليفة سليم الثاني، ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، مصر، 1994، ص396.

بثلاث ســـفن متجها إلى البحر الأحمر ولكنه فقد إحداها عند البحرين ثم وصل إلى مصر بسفينتين وهناك جاء الأمر من الباب العالي بإعدامه نظير فشله.[1]

ويرى بجوي إبراهيم أن سبب إعدام بيري رايس، هو قبوله بمقدار من المال أعطي له من قبل صاحب هرمز، مقابل فك الحصار عليها، ولما وصل هذا إلى السلطان سليمان القانوني أصـــدر فرمانا بإعدامه بســـبب أن الكفار أعطوا المال وقبله وتم قطع رأسه في مصر.[2]

حملة مراد ريس في الخليج العربي 1552م:

عهد الســـلطان سليمان القانوني بمراد ريس والي القطيف لقيادة السفن المتبقية في البصرة للتقدم في الخليج العربي نحو البحر الأحمر لمواجهة الأسطول البرتغالي المتوجه إلى جدة بقيادة دافوريها.

خرج مراد رايس في 17 ســـفينة، وعند رأس مســـتدم وقعت معركة بينه وبين الأســـطول البرتغالي، انتهت بهزيمة مراد ريس* وقتل عدد كبير من جنوده، مما اضطر للعودة إلى البصرة.[3]

---

[1] – نوال حمزة يوسف، الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن 10هـــ–16م، بحث مقدم لنيل درجة الماجســـتير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، السعودية، 1980، ص146.

[2] – بجوي، إبراهيم، مصدر سابق، ص394.

* – مراد رايس (1534–1638م): مجاهد بحري عثماني، ولد في جزيرة ألبانيا، انضم إلى نورغوت رايس، وحارب إلى جانب بيري رايس في عدة حملات.

[3] – محمد حسن، العيدروس، مرجع سابق، ص11.

حملة علي ريس* في الخليج العربي 1553م:

أرسل السلطان سلميان القانوني قائدا أكثر خبرة وهو سيدي علي ريس فخرج من إسطنبول إلى حلب فالموصل ثم بغداد، وعندما وصل للبصرة أصلح سفنه، وأبحر من البصرة عام 1554م، وتقابل مع الأسطول البرتغالي في رأس مستدم وانتصر عليه انتصارا ساحقا، لكن العواصف أدت إلى تشتت الأسطول وتوجه علي ريس إلى الهند.[1]

ورغم أن العثمانيين لم يوقفوا في إنهاء الوجود البرتغالي نهائيا من المياه الشرقية، إلا أنهم حققوا نجاحات كثيرة على جميع الأصعدة فقاموا بغلق البحر الأحمر أمام السفن البرتغالية وأبعدوا السيطرة البرتغالية عن جنوب الجزيرة العربية، فضلا عن إحياء الطريق التجاري القديم إلى مصر فعادت التوابل إلى الازدهار عبر الخليج العربي والبحر الأحمر لأن الدولة العثمانية عملت على تأمين تلك الطرق وحمايتها من الاحتكار البرتغالي.[2]

كما أضفت الدولة العثمانية الأمن والأمان على البحر الأحمر وجعلته بحرا إسلاميا مغلقا في وجه السفن البرتغالية وحرمت عليها الإبحار في مياه البحر الأحمر شمالي المخا في اليمن، وكان على هذه السفن أن تفرغ شحناتها في هذا الميناء، ثم يعاد شحنها على سفن إسلامية، وكانت حجة الدولة العثمانية في هذا أن الأماكن المقدسة في العالم الإسلامي تقع في الحجاز، وتطل سواحل هذا الإقليم على مياه البحر الأحمر، فيجب أن تكون الملاحة فيه مقصورة على السفن الإسلامية.[3]

---

* – علي ريس (1498–1562م): سيدي علي بن حسين مؤلف جغرافي ورحالة تركي، اشترك في عدد من الحروب البحرية العثمانية في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، ينظر إلى نوال حمزة يوسف الصيرفي، مرجع سابق، ص150.

[1] – نوال حمزة يوسف، الصيرفي، مرجع سابق، ص 149–150.

[2] – أحمد سالم، سالم، مرجع سابق، ص251.

[3] – عبد العزيز، محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، ملتزم للطبع والنشر، القاهرة، مصر، 1980، ص21.

الفصل الثاني

الوجـود العثماني في إيالة الحبشة (1557-1882م)

المبحث الأول: الحبشة قبل مجيء العثمانيين

أ-التعريف بالحبش

ب-التحالف البرتغالي الحبشي 1509م

ج-الصراع بين الإمارات الإسلامية والحبشة (1500-1541م)

المبحث الثاني: الحكم العثماني للحبشة (1557-1820م)

1-تأسيس إيالة الحبشة 1557م

-دور أوزدمير باشا في تأسيس إيالة الحبشة (1555-1559م)

2-الإدارة العثمانية في إيالة الحبشة (1557-1820م)

المبحث الثالث: الحكم المصري العثماني لإيالة الحبشة (1820-1882م)

أ-في عهد محمد علي (1820-1848م)

ب-في عهد الخديوي إسماعيل (1863-1879م)

-ضم دارفور 1874م

-ضم الصومال 1875م

-الثورة المهدية 1881-1885م

المبحث الأول: الحبشة قبل مجيء العثمانيين

أ-التعريف بالحبش:

الحبش هم فروع من أصـــلين عظيمين، أولهما يقترب من الجنس العربي، وثانيهما من الجنس الســـوداني، ومســـاكنهم في إفريقيا الشرقية في الجنوب الغربي المقابل للبلاد اليمنية، ويرجع أصلهم بجميع أجناسهم إلى حبش بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام.[1]

وقد أطلق المصـــريون اســـم الحبشة على سكان منطقة جنوب مصر، أي المناطق التي يسكنها السود، واشتهر بهذا الاسم سكان الغرب الإفريقي جميعا، وهناك من يذكر بأن تســـمية الحبشة، نسبة إلى قبيلة عربية من اليمن تسمى حبشات كانت تسكن على الساحل اليمني، وهجرت عن طريق البحر الذي يصـــل إلى ميناء مصوع بهضبة الحبشة، وسكنت هذه القبيلة في شـــمال الحبشة، ولذلك سميت باسمهم، فأطلق العرب على جميع البلاد اسم الحبشـــة، واختلفت آراء المؤرخين حول الفرق بين إثيوبيا والحبشة، فاسم إثيوبيا هو اسم أطلقه الإغريق على شـــعوب مختلفة ومنها الممالك النوبية القديمة وهي كلمة تعني الوجه المحروق، ولهذا فإن المؤرخين رجحوا إطلاق اســـم الحبشـــة على جميع الشـــعوب التي يتراوح لونها من السمرة إلى السواد.[2]

ب-التحالف البرتغالي الحبشي 1509م:

ســـعى البرتغـــاليون إلى تعزيز وجودهم العســـكري والتجاري في حوض البحر الأحمر، وضـــمان استمرار تجارة أوروبا مع الشرق عبر رأس الرجاء الصالح وإبعادها عن مصـــر والشـــام، ولهذا عملوا على إيجاد حليف لهم في المنطقة، وسعوا للتقارب مع الحبشـــة[3]، خاصـــة بعد نشرهم لدعاية مكثفة على أنهم سوف يوجهون جحافل من الحبشة لتغيير مجرى النيل وتحويله إلى ناحية البحر حتى تموت مصـــر عطشا، كما هددوا كذلك

---

[1] – أحمد، المفتي، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، المطبعة الأميرية، الإسكندرية، مصر، 1321هـ، ص23.

[2] – محمدة عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص32-33.

[3] – عثمان، صالح، الصراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، المرجع السابق، ص23.

بدخول الأســـاطيل البرتغالية إلى البحر الأحمر والوصول إلى مكة والمدينة، من أجل هدم ونبش قبر الرسول ﷺ في محاولة لتكتيل العالم المسيحي ضد الإسلام والمسلمين.[1]

وفي أواخر العقــد الثامن من القرن 15م أرســـل يوحنا الثاني ملك البرتغال بعثة مؤلفة من ملاحين شـــهيرين هما "إفونسو بايغا" و "بيدرو كوفيلهام"، وقتل الأول منهما في عدن، ووصـــل الثاني إلى بلاط الحبشـــة، واستطاع بدهائه أن يحصل على إكرام الملك، واكتســـب نفوذا هناك[2] وأقطعه الإمبراطور مساحة من الأرض، ولم يسمح له بالعودة إلى البرتغال، وبقي في بلاط الملك.[3]

وبناء على نصـــيحة المبشر البرتغالي دي كوفلهام، قررت ملكة الحبشة هيلينا التي كانت وصية على إبنها لينادنقل (1507، 1540م) أن تستعين بالبرتغاليين للاستيلاء على ســـواحل إريتريا والصـــومال[4] خاصـــة وأن الخطر الإسلامي صار يهدد الحبشة، فطلبت المســـاعدة من البرتغاليين الذين حققوا انتصـــارات كبيرة في المحيط الهندي، وكان أول اتصـــال في عهد القائد البرتغالي البوكيرك عام 1509م، حيث أرسلت الملكة هبيلينا أحد مبعوثيها ويدعى ماتبو إلى الهند ليعرض رغبة الملكة في إعلان حرب ضـــد المســـلمين، فأرسل البوكيرك المبعوث الحبشي لمقابلة الملك البرتغالي عمانويل.[5]

وجاء في رسالة الملكة هيلينا ما يلي: «بسم الله، والسلام على عمانويل سيد البحر، وقاهر المســـلمين القســـاة الكفرة، تحياتي إليكم، ودعواتي لكم، لقد وصل إلى مسامعنا أن سلطان مصر جهز جيشا ضخما ليضرب قواتكم، ويثأر من الهزائم التي ألحقها به قوادكم

---

[1] – جلال، يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999، ص108.

[2] – ســـليم، خياطة، الحبشة المظلومة أو فاتحة آخر نزاع للاستعمار في دور انهياره، مطبعة روضة للفنون، بيروت، لبنان، 1936، ص119.

[3] – فتحي، غيث، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 2001، ص145.

[4] – عثمان صالح، سبي، تاريخ إريتريا، مرجع سابق، ص127.

[5] – شيخة بنت صالح بن محمد شعيب، ميناء الشحر في القرن 10هـ–16م، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 2003–2006، ص117.

في الهند، ونحن على اســـتعداد لمقاومة هجمات الفكرة بإرســـال أكبر عدد من جنودنا في البحر، وإلى مكة وجزيرة باب المندب وإذا أردتم نســـيرها إلى جدة وذلك لنقضي قضاءا تـــاما على جرثومة الكفر...ولما كانت مملكتنا متوغلة في الداخل وبعيدة عن البحر، الذي ليس لنا فيه قوة أو سلطان، فإن الاتفاق معكم ضروري».[1]

رأت الملكة هيلينا أنه يجب على دول أوروبا أن تتعاون في إرســـال قواتها للبحر الأحمر مع البرتغاليين أو مساعدة القوات الحبشية في الاستيلاء على جدة ومكة والقاهرة[2]، على أن تتولى كـــل دولـــة من هذه الدول أحد المواقع الهامة الواقعة على البحر الأحمر، فتحتل إســـبانيا زيلغ، وتحتل فرنســـا سواكن، بينما تحتل البرتغال مصوع، وهو ما رفضه الملك البرتغالي بسبب رغبته في السيطرة على البحر الأحمر.[3]

وفي عام 1520م وصل وفد برتغالي برئاسة "رودريغو دي ليما" إلى مصوع بناء على طلب الملكة هيلينا[4]، وتمكن البرتغاليون من احتلال ميناء مصـــوع، وتم هذا الاحتلال بمظهر تجاري بري، حيث تقدم البرتغاليون إلى الســـلطان أحمد بن إسماعيل وطلبوا منه إقـــامة علاقات تجارية مع إمارته[5]، وعندما رفض أهل المدينة مدهم بالغذاء والماء، عاثوا في المدينة تدميرا وتقتيلا وحولوا مسجدها لكنيسة، كما رفض أهل مصوع مد البرتغاليين بالإدلاء حين أردا قائد الحملة البرتغالية إرسال وفد للاتصال بالأحباش والتفاوض معهم.[6]

---

[1] – محمود، شـــاكر، إريتريا والحبشـــة، ســـلسلة مواطن الشعوب في إفريقيا، ع5، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص26-27.

[2] – أحمد الظرافي، الإمام جوري الصومالي فتح الحبشة، مجلة البيان، العدد 333، فيفري، مارس 2015، مركز البيان للبحوث والدراسات.الرياض،السعودية.

[3] – قزغلي علي، تيسن هيريدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2008، ص10.

[4] – فتحي، غيث، مرجع سابق، ص145.

[5] – محمد سعيد، ناود، العروبة والإسلام في القرن الإفريقي، دار ناود، أسمرة، إريتريا، [د.ت]، ص111.

[6] – غالي، عودة، إريتريا بلاد المسلمين وصراع النفوذ، دار البشير، عمان، الأردن، 1989، ص27.

ج-الصراع بين الإمارات الإسلامية والحبشة (1500-1541م):

بعد أن تمكن الأحباش بمساعدة البرتغاليين بالقيام بحملة منسقة ضد المسلمين، وتمكنهم من إلحاق هزيمة ساحقة بالقوات الصومالية التابعة لإمارة عدل* وتعرض مدينة بربرة للنهب، واحتلال البرتغاليين مقديشو في عام 1520م، اضطر سلطان إمارة عدل أبو بكر بن محمد (1488-1518م) إلى نقل عاصمته زيلغ إلى هرر**، وأدى مقتل الأمير محفوظ إلى بروز القائد أحمد جوري*** كقائد جيش لإمارة عدل.[1]

واتبع الإمام أحمد قرين، بعد أن سيطر على الأمور في سلطنة عدل، سياسة موفقة جمعت الناس حوله فطبق الشريعة الإسلامية في حكمه، ما أدى إلى كسبه لمحبة الجند والفقهاء والعلماء.[2]

وفي هذا الشأن يذكر عرب بافقيه صاحب كتاب فتوح الحبشة: «فأقام الإمام في البلاد، وحكم وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وقطع قطاع الطرق، واصطلحت الرعية في زمانه، وأحب الأشراف ولعلماء والفقهاء، ثم رتب الآلات والسويف والخيول ونهض غازيا إلى بلاد الحبشة».[3]

كانت ثورة الإمام أحمد كرد فعل للجرائم التي ارتكبها البرتغاليون، وتعاون ملوك الحبشة معهم، وانطلقت قوات الإمام أحمد وهزمت الإمبراطور لينا دنقل سنة 1529م في

---

* – إمارة عدل: هي جزء من مملكة إيفات التي امتدت من السهول إلى هضبة الحبشة شملت إمارة عدل، سهل زيلغ وأراضي هرر...، للمزيد ينظر إلى: محمد سعيد ناود، العروبة والإسلام في القرن الإفريقي، ص95.

** – هرر: مدينة أنشأها المسلمون في أواخر القرن 1هـ، إحدى الولايات الهامة التي تتكون منها إمارة عدل، أنظر إلى أحمد الظرافي، مرجع سابق.

*** – الإمام أحمد جوري (1506-1543م): هو أحمد ابن إبراهيم الملقب بالأشول أو الأعسر يطلق عليه أحمد فرات (هو الذي قاد المسلمين في بسط نفوذهم على جميع أرجاء الحبشة نشأ في هوبات بالصومال وتزوج من إبنة محفوظ إمام زيلغ)، للمزيد ينظرإلى فتحي غيث، الإسلام في الحبشة، ص150.

[1] – أحمد الظرافي، مرجع سابق.

[2] – شوقي، عطاء الله الجمل وآخرون، الموسوعة الإفريقية، لمحات من تاريخ القارة، مج2، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، مصر، 1997، ص272.

[3] – عرب بافقيه، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان، فتوح الحبشة، [د.ت]، [د.م]، ص17.

معركة "شمبري كوري"، واستمرت القوات بزحفها حتى استولت على شوا سنة 1531م، فاتصل الإمام أحمد بإمارات الساحل في مصوع وسواكن وإريتريا، وتمكن من إيجاد صلة بين الصومال وإريتريا والسودان.[1]

بعد ذلك توجه الإمام أحمد بفتوحاته نحو الحبشة، فسيطر على معظم مدنها، فتجاوز داباروا، وأوفات وبالي وشـــوا، حتى وصـــل إلى أمهرة عام 1533[2]، وفي حدود عام 1540م أصبح الجزء الجنوبي والأوسط للحبشة تحت سيطرة الإمام أحمد.[3]

وعن فتوحات الإمام أحمد في الحبشة يذكر عبد الله العيدروس: «وفي سنة 934هـ أخذ الإمام الجواد أحمد مدينة هرر من بلاد الحبشـــة، وضعف عن مقاومته سلطانها، ولم يزل أمر الإمام بعد يعظم حتى صـــار إلى ما صـــار إليه، وفتح الكثير من بلاد الحبشة، وقهر الكفار وواضب على الجهاد والغزو في سبيل الله».[4]

وإزاء تدهور الموقف وتوســعات الإمام أحمد في الحبشـــة، أرسل الإمبراطور لينا دنقل وفدا إلى ملك البرتغاليين يتكون من شـــخصـــين هما مايتو الأرمني وأمير إثيوبي، وأرســـل معهما هدية يقال أنها قطعة من الخشـــب الذي صـــلب عليه المسيح عيسى عليه الســـلام، وحمل هذا الوفد كتابين أولهما إلى ملك البرتغال يتضمن مشروع حلف يتكفل فيه ملك البرتغال بمســـاعدة الحبشة في حروبها، والآخر إلى البابا كلمنت السابع يعبر فيه لينا دنقل عن تبعية الكنيسة الإثيوبية إلى كنيسة روما.[5]

وكـــان البرتغـــاليون مـــدركين للخطر المزدوج من العثمـــانيين من نـــاحية البحر والصوماليين وقوات الإمام أحمد من البر.[6]

---

[1] – محمد سعيد، ناود، مرجع سابق، ص105.

[2] – شيخة بنت صالح بن محمد شعيب، مرجع سابق، ص121.

[3] – أحمد الظرافي، مرجع سابق.

[4] – العيدروس، عبد القادر بن الشيخ، مرجع سابق، ص265.

[5] – زاهر، رياض، استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1965، ص48.

[6] – روجيه جوانت، دانتيت، تاريخ البحر الأحمر من موســـى حتى بونابرت، تر: حســـن نصر الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2013، ص332.

كما كان وصول الدولة العثمانية للساحل اليمني المطل على البحر الأحمر وإرسالهم حملة ديو 1538م، ضربة قاضية لحظة البرتغاليين في البحر الأحمر، مما جعلهم يتجهون إلى الساحل الإفريقي، من خلال تقوية علاقتهم بملك الحبشة، ليضمنوا مراقبة تحركات العثمانيين في البحر الأحمر.[1]

ولهذه الأسباب أرسل نائب الملك في الهند استيفاودي غاما أخوه كريستوفر دي غاما لمساعدة الحبشيين، وتدمير أماكن تزويد السفن العثمانية[2]، ووصل كريستوفر دي غاما إلى مصوع سنة 1541م، وقام بمهاجمة على ميناء مصوع وسواكن وجزر دهلك وخربهما، وأسر بعض سكانها، وبعد تقديمه يد المساعدة للقوات الحبشية تمكن من هزم الإمام أحمد وهو ما جعله يلجأ إلى الوالي العثماني في زبيد مصطفى النشار فأمدة بحملة مكونة من 500 جندي وقيل 900 جندي.[3]

تمكن الإمام أحمد من إلحاق هزيمة كبيرة بالبرتغاليين بعد وصول القوات العثمانية في معركة إناضي سنة 1542م وتمكن من قتل كريستوفر دي غاما.[4]

بعد أن شعر الإمام أحمد أن مركزه قد توطد، قام بإعادة الجنود العثمانيون إلى بلادهم، فاستقر هو بجور بحيرة تانا[5] ولقد كان سبب الخلاف بينهما هو طمع الجنود في الأموال والممتلكات، وقيل بسبب أن العثمانيون كانوا يرغبون في أسر "دي غاما"، لكن الإمام أحمد تسرع في قتله.[6]

---

[1] – أحمد سالم، سالم، مرجع سابق، ص246.

[2] – روجيه جوانت، داجنت، مرجع سابق، ص332.

[3] – سيد، مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن 1538–1635م، ط5، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999، ص417.

[4] – أحمد، الظرافي، مرجع سابق.

[5] – فتحي، غيث، مرجع سابق، ص157.

[6] – سيد مصطفى، سالم، مرجع سابق، ص419.

وبعد ذهاب القوات العثمانية، انضم الجيش الإمبراطوري لكلاديوس الذي خلف لينا دنقـــل إلى مـــا تبقى من البرتغاليون، ودمروا في فيفري 1543م جيش المســـلمين على الهضبة شرقي بحيرة تانا وقتل الإمام أحمد وتشتت جيشه.[1]

لـــذلـــك فلقد اعتبرت دولة الإمام أحمد بن إبراهيم، مظهر من مظاهر انبعاث القوة الإســـلامية في شرق إفريقيا خاصة أن الإمام أحمد لعب دورا هاما في التحالف الإسلامي مع العثمانيين، حيث تصـــدى للقوات الحبشـــية التي شـــنت هجمات متعددة على الدول الإسلامية، وعملوا على تدميرها ونهبها.[2]

[1] – هـــابرلانـــد، القرن الإفريقي، تاريخ إفريقيات العام من القرن 16م إلى القرن 18م، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، بيروت، لبنان، 1997، ص790.

[2] – نوال حمزة يوسف، الصيرفي، مرجع سابق، ص177.

المبحث الثاني: الحكم العثماني للحبشة (1557-1820م)

1-تأسيس إيالة الحبشة 1557م:

بعد أن قضى السلطان سليم الأول على الدولة المملوكية، واستولى على أراضيها، هربت مجموعة من فلول المماليك جنوبا باتجاه الأجزاء الشـــمالية من الســـودان، ونتيجة لذلك أرسل السلطان العثماني فرقة من عساكره لتعقب المماليك، ووصلت هذه الفرق حتى حدود الســـودان الشمالية، وفي هذه المناطق أسس العثمانيون بعض القلاع من أجل تحقيق هدفين أولهما الوقوف في وجه أي محاولة للمماليك لإعادة ترتيب صفوفهم، والهدف الثاني يتمثل في بسط نفوذ الدولة العثمانية على الجزء الجنوبي من مصر والشمالي من السودان مثل: مناطق إسوان وإيريم.[1]

كما أرسل السلطان العثماني سليم الأول حملة أخرى بقيادة سنان باشا على سواكن من أجل منع البرتغاليين من الاستيلاء عليها.[2]

وقابلت ممالك إفريقيا الإســـلامية دخول العثمانيين لمصر بسرور بالغ لأنهم كانوا يعتبرونهم بمثابة حليف قوي وموثوق يؤمن لهم الحماية، ويمكنهم الاعتماد عليهم، فأرســـل حكام هذه الإمارات للســـلطان ســـليم الأول يعلونون ولائهم للسلطان العثماني واستعدادهم لإقامة علاقات معه.

فأرســـل عمارة دنقس ملك الفونج رسالة إلى السلطان سليم الأول جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم الســـلام عليكم...وبعـــد لا أعلم ما الذي يحملك على حربي، وامتلاك بلادي، فإن كان لأجل تأييد دين الإسلام فإني أن وأهل مملكتي عرب مسلمون، ندين بدين رسول الله، وإن كان لغرض مادي، فاعلم أن أكثر أهل مملكتي عرب بادية، وقد هاجروا

---

[1] – إنعم، محمد الكباشـــي، تأســـيس لواء ســـواكن في العهد العثماني، مجلة الذارة، ع4، السنة 33، شوال 1433هـــ الخرطوم، السودان، ص 197.

[2] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص370.

إلى هذه البلاد في طلب الرزق ولا شيء عندهم، وتجمع منهم جزية سنوية»، وأرسل مع الرسالة كتاب أنساب العرب، فأعجب سليم الأول بهذه الرسالة وعدل عن فتح السودان.[1]

وهناك من يذكر أن بداية الوجود العثماني في السودان بدأ بإرسال سرية من العساكر إلى بلاد النوبة عام 1530م بقيادة حسن قوسي، حيث استقر قسما منها في بلدة الدرة النوبة المصرية، واعتبر قوسي حاكما على النوبة تابعا لحكم مصر[2]، وهناك من يقول أنه بعد الصراع بين الحبشة والإمارات الإسلامية وانهزام الإمام أحمد استنجد أمراء مصوع ودهلك وزيلغ وسواكن بالأتراك العثمانيين، واتصلوا بالباشا التركي في زبيد.[3]

وأعد العثمانيون أسطولا حربيا بقيادة سنان باشا* ونزل أمام شواطئ مصوع في عام 1554م، وهزم الأسول البرتغالي بقيادة جون دي كاسترو، وطرد البرتغاليين منها وحلت السيادة العثمانية عليها.[4]

وبهذا قررت الدولة العثمانية الدخول إلى منطقة الساحل الإفريقي من أجل ضمان أمن البلدان الإسلامية، والقضاء على آمال البرتغاليين في التمركز هناك[5]، وتركزت سياسة الدولة العثمانية على ثلاث نقاط:

- قطع الاتصال بين البرتغاليين والأحباش.
- غلق البحر الأحمر في وجه البرتغاليين.

---

[1] – محمود، شاكر، السودان، سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، ع11، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982، ص14-15.

[2] – محمد إبراهيم، أبو سليم، دور العثمانيين في إفريقيا وفي السودان على وجه الخصوص، ملامح من العلاقات السودانية التركية، سلسلة الدراسات التركية، ع1، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، السودان، 2004، ص57.

[3] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص375.

* – سنان باشا: رجل دولة وقائد عسكري عثماني من أصل ألباني قاد حملة لإخماد ثورة الإمام الزبدي المطهر عام 1571م باليمن، وحملة لفتح تونس 1574م، للمزيد ينظر: سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص ص 204، 207.

[4] – عثمان صالح، سبى، الصراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، مرجع سابق، ص23.

[5] – سيد مصطفى، سالم، مرجع سابق، ص427.

- العمل على تطهير الســـواحل العربية الجنوبية من البرتغاليين ويرجع باهتمام الدولة العثمانية بهذه المنطقة إلى شعورهم بالمسؤولية أمام المسلمين في سواكن ودهلك بعد أن تعرضت للنهب والتدمير.[1]

دور أوزدمير باشا* في تأسيس إيالة الحبشة (1555-1559م):

لمس أوزدمير باشـــا أثناء ولايته لليمن مدى أهمية مد النفوذ العثماني إلى الحبشـــة بالنســـبة للصـــراع الدائر بين العثمانيين والبرتغاليين في جنوب البحر الأحمر، كما لمس أيضـــا مدى ضـــعف نيابة ســـواكن واضطراب أحوالها بعد عزله من اليمن وتوجهه إلى إســـطنبول، حيث عرض على الســـلطان ســـليمان القانوني مشروعا يقضي بتدعيم النفوذ العثماني على ســـاحل الحبشـــة وبتوسيع مداه، وذكر للسلطان بأن إرسال عساكر إلى تلك المنطقة يسهل من بسط السيطرة عليها.[2]

حتى توطد الدولة العثمانية من نفوذها، وتمنع البرتغاليين من التوســـع في الجانب الآخر على اليمن، وتوسع الأراضي العثمانية في إفريقيا والتوغل داخل القارة في المنطقة الممتدة من ســـاحل البحر الأحمر من الشمال إلى اليمن في الجنوب، ولضمان أمن سواحل البحر الأحمر الغربية وتأمين حدود مصـــر والأماكن المقدســـة في الحجاز، بنت الدولة العثمانية مشروع أوزدمير باشا وكلفته بتأسيس إيالة الحبشة.[3]

ومن مصـــر بدأ أوزدمير باشـــا بتجهيز الحملة، حيث نجح في جمع عدد كبير من الجنود، رغم أنه عانى كثيرا لتحقيق هذه الغاية، ووجد أنه من المناســـب قيادة هذه الحملة العســـكرية برا وبحرا عبر مياه نهل النيل، واســـتطاع التحرك من مصر على رأس قواته

---

[1] – نيقولاي، إيفانوف، مرجع سابق، ص 169-170.

* – أوزدمير باشا: هو المستشار للسلطان سليمان القانوني، التحق بالجيش العثماني سنة 1517م، عين واليا على اليمن سنة 1548م، نجح في ضبط الشؤون الأمنية في اليمن عزل عام 1553م، للمزيد ينظر: إلى سيد مصطفى سالم، مرجع سابق، ص290.

[2] – سيد مصطفى، سالم، مرجع سابق، ص429.

[3] – طارق محمد نور، إضـــاءة على جانب من تاريخ الســـودان على ضوء الوثائق العثمانية سواكن 1840-1864م، المؤتمر السنوي للدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخرطوم، السودان، فيفري 2013.

سنة 1555م، وبدأ جنوده في التقدم برا وبحرا عبر النيل ولكنها واجهت صعوبات تبعدها عن الحبشـــة، ولهذا قرر الإبحار عبر مياه البحر الأحمر لتسهيل مهمتهم في الوصول إلى مبتغاهم.[1]

وتمكن أوزدمير باشـــا من إخضـــاع الأماكن التي تقع على تخوم مصـــر الجنوبية وبالقرب من ســـاحل البحر الأحمر مثل: إيريم والدر، وقد سادته في ذلك المعلومات التي كونها إبان عمله في المنطقة ومعرفته الوثيقة بها.[2]

نجح أوزدمير باشا في مهمته، حيث أعلن أمراء سواكن دخولهم تحت طاعة الدولة العثمانية، وأسس العثمانيون بها سنجقا، وكان يتبع مصر من الناحية الإدارية[3]، وتم تعيين أوزدمير باشا واليا عليها في 15 شعبان 942هـ 5 يوليو 1555م.[4]

وبعد وصـــول أوزدمير باشا إلى سواكن، خرج في غزوه لبسط نفوذه على مصوع عام 1557م، ثم دخل إلى ميناء حرفيقو، وقطع الطرق الموصـــلة بين الحبشـــة والبحر الأحمر، وبادر العثمانيون في التوغل داخل المناطق الداخلية وزحف على تجراي ســـنة 1558م، وتمكن من الســـيطرة عليها، ثم انتقلت قواته إلى دباروا التي قام أوزدمير باشـــا بتحصينها وجعلها قاعدة له في المنطقة.[5]

كما قام أوزدمير باشا اتصالات مع نور بن مجاهد ابن شفيق أحمد غرات وخليفته على إمارة عدل، الذي قام بمســـاعدته في القيام بهجمات عديدة على مناطق البلاد الداخلية وبسط سيطرته على جميع أجزاء إريتريا الشمالية وكذلك دخوله إلى زيلغ وجميع سواحل البحر الأحمر الإفريقية، والجزء الشمالي الشرقي من إفريقيا.[6]

---

[1] – فيريدون، إمجان، مرجع سابق، ص296.

[2] – طارق محمد، نور، مرجع سابق.

[3] – إنعم، محمد الكاشي، مرجع سابق، ص200.

[4] – طارق محمد، نور، مرجع سابق.

[5] – فريدون، إمجان، مرجع سابق، ص297.

[6] – نيقولاي، إيفانوف، مرجع سابق، ص170-171.

لم ينقض النصـــف الأول من القرن 16م حتى دخل العثمانيون لأهم الموانئ وهي ســـواكن وعقيق ومصـــوع وجزر دهلك، واستطاعت بذلك الدولة العثمانية خلال ذلك من تأســـيس إيالة الحبشـــة، والتي ضمت قسما كبيرا من السودان وإريتريا والصومال خاصة الأجزاء الساحلية منها.[1]

وألحقت أكثر المناطق الإســـلامية في شـــمال شرق إفريقيا بولاية الحبشة، وكانت السناجق الأساسية فيما هي إيريم، سواكن، حرفيقو، مصوع، زيلغ، وضمت النوبة السفلى وكل الأراضي الواقعة على شواطئ البحر الأحمر من حدود مصر حتى خليج عدن.[2]

وقد أطلق العثمانيون اســـم إيالة الحبشة، رغم عدم سيطرتهم الكاملة على أراضي الحبشة، كسياسة لذر الرماء في عيون الأوروبيين، والإيحاء إليهم بخضوع الجبشة، وذلك بموافقة والي الحبشـــة يفرض نائب حرقيقو العثماني مرسوما على مرور القوافل التجارية من وإلى الحبشة عن طريق البحر الأحمر، كما أن هناك وجه آخر للسيطرة على الحبشة وهو أن مصـــر هي التي بعثت بطريرك الكنيســـة الحبشية، وأكدت الدولة العثمانية تبعية الحبشـــة لها حين طلبت الحبشـــة من بريطانيا حماية الحجاج الأحباش في القدس فأجاز الســـلطان العثماني إن الحبشـــة مقاطعة من مقاطعات الدولة العثمانية وعليه فإن الأحباش ليسوا بغرباء عن القدس، وليس من حق أي قنصل أجنبي أن يتحدث باسمهم.[3]

2-الإدارة العثمانية في إيالة الحبشة (1557-1820م):

لم تختلف ســـياســـة العثمانيين في الحبشة عن سياسة العثمانيين في البلدان العربية الأخرى، إذ شـــجعوا على عثمنة الحياة الاجتماعية ولو بشـــكل جزئي وأقاموا حاميات عســـكرية عند موانئ البحر الأحمر خاصـــة في ســـواكن ومصوع وزيلغ[4] لتمكين الحاكم العثماني من مباشـــرة ســـلطته، كما جعلوا من زيلغ وســـواكن قواعد حربية واستخدمت

[1] – أحمد سالم، سالم، مرجع سابق، ص247.

[2] – نيقولاي، إيفانوف، مرجع سابق، ص171.

[3] – غالي عودة، مرجع سابق، ص29.

[4] – نيقولاي، إيفانوف، مرجع سابق، ص163.

كمراكز لراحة الجيوش الذاهبة للقتال والقادمين من الحرب، خاصـــة خلال اهتمام الدول العثمانية باستقرار الأوضاع في اليمن.[1]

تركز نفود العثمانيين في ســواكن ومصــوع، ووضعت هذه الولاية تحت إشراف والي جدة، على أن يعين من جانبه قائم مقام* على ســواكن ومصــوع، وســمحت للملك إســحاق في إدارة دابارو مقابل بناء قلعة عثمانية ومســجد فيها، وبالتالي أصبحت عمليا تحت حمايتهم.[2]

ولضــمان ولاء الســكان في الأجزاء التابعة لها، أقامت في مناطقهم نقاط عسكرية والتي كانت رمزية، والهدف منها هو تضــليل الســكان خوفا من شــراء أي جزء من مناطقهم، بسبب كثرة مرور الأوروبيين على الساحل واتصالهم بالسكان.[3]

وبعد أن ضــعف النفوذ العثماني على الســاحل الإريتيري نتيجة لمقاومة العرب للعثمانيين، اضطرت الدولة العثمانية أن تضع شؤون الإدارة المحلية بيد الإريتيريين وعين إبراهيم باشا على مصوع وملحقاتها على الساحل الإريتيري.[4]

كما اســتعانت الدولة العثمانية بالزعماء المحليين من أسرة بلو** ليكون نائبا عنها في حرفيقو، ولمعاونة أعمال الحكومة الإدارية في مصــوع، وكان النائب عامر علي أول

---

[1] – عوض، عبد الهادي، سواكن ومصوع في عهد الحاكم التركي المصري، ملامح العلاقات السودانية التركية، سلسلة الدراسات التربية، ع1، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، السودان، 2004، ص79.

* – قائم مقام: هو الشــخص الذي يقوم مقام الغير في منصــبه، مثل قائم مقام إستنابول وهي أعلى منصب إداري في الأقضــية...ينظر إلى ســهيل صــابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 2000، ص170.

[2] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص377.

[3] – عوض، عبد الهادي، مرجع سابق، ص81.

[4] – غالي، عودة، مرجع سابق، ص29.

** – أسرة بلو: هي أسرة تابعة لقبيلة بلو في إقليم سمهر في إريتريا، تولت فض النزاعات التي نشبت بسبب الراعي...، أنظر محمد عثمان أبو بكر، مرجع سابق، ص377.

نـــائب يعين من قبل العثمانيين[1]، وجعلته تابعا لولاية الحجاز، وعينت مرتبا معلوما نظير حمايته لقوافل تجارية.[2]

وتجـــاهـــل العثمانيون نظام الإقطاعية الصـــغيرة والزعامات، وتم الاعتماد على التشكيلات العسكرية للقبائل العربية في حراسة الأرياف وطرق القوافل التجارية، وبالمقابل تمتعت هذه القبائل باستقلال داخلي ذاتي، وكانت تلك القبائل معفاة من الضرائب.[3]

ونتيجة للتدهور في الســـنوات الأخيرة ضمن إدارة الحبشة إلى إيالة جدة، وأصبح قائم المقام في المدن المهمة للولاية مثل: ســـواكن ومصوع، أما الإدارة المالية فكانت من المخصـــصـــات المرســـلة من المركز، وعلى رأسها سواكن ومصوع، وأهم هذه الموارد تحصيلات الشحن ورسوم بناء الوكالات التجارية والرسوم على البضائع العابرة.[4]

كما طبق العثمانيون في البلاد قوانين الشريعة الإسلامية وشجعوا على بناء المساجد ومن أهم المســـاجد التي شـــيدوها المسجد المجيدي نسبة إلى السلطان عبد المجيد ومسجد الشافعي في مصوع.[5]

ورصـــدت الإدارة العثمانية للمساجد ميزانيات خاصة لتطمئن على أدائها، وكانت الإدارة تختار لهذه المساجد الأئمة الذين لازموها وخدموها لفترات طويلة[6]، أما فيما يخص القضاء، فكان إصدار هذه الأحكام بناء على المذهب الحنفي، وتعتبر سواكن مقر للمحكمة[7] ويعين القاضـــي من شـــيوخ القبائل ومن أول القضاة الذين تم تعيينهم الشيخ عبد الوهاب أفندي.[8]

---

[1] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص377.

[2] – أحمد، المفتى، مرجع سابق، ص17.

[3] – نيقولاي، إيفانوف، مرجع سابق، ص171.

[4] – طارق محمد، نور، مرجع سابق.

[5] – عوض، عبد الهادي، مرجع سابق، ص79.

[6] – المرجع نفسه، ص80.

[7] – إنعم محمد، الكباشي، مرجع سابق، ص201-202.

[8] – طارق، محمد نور، مرجع سابق.

وفي الجانب الاقتصادي فإن إيالة الحبشة كانت قائمة أساسا على مصادر الدخل من موارد الموانئ، ولهذا كانت تعاني في الكثير من الأحيان من بعض المشـــاكل الاقتصادية، بسبب حدوث مشاكل في هذه الموانئ.[1]

وطبق العثمانيون في هذه الموانئ نظامهم مما أدى إلى إحياء جزئي لطرق التجارة الدولية القديمة التي كانت تمر عبر أراضـــي الســـودان ومصـــر ما أدى إلى نشاط ميناء سواكن على وجه الخصوص.[2]

وشـــيد العثمانيون بعض المنشآت مثل: مصانع القطن في سواكن ومصوع، والتي أدت إلى تشغيل أعداد من المواطنين، وتغيير نمط حياتهم المعيشية والاجتماعية وأكسبتهم مهارات وخبرات جديدة، كما ســـاهمت الإدارة العثمانية في تحسين الطرق وحفظ الأمن، واستفاد العثمانيون من الصناعيين الذين تم جلبهم من مصر.[3]

وترك العثمـــانيون آثارا معمارية متمثلة في القلاع والحصـــون والمســـاجد التي شيدوها، كما أن الكثير من العائلات فضلت البقاء في السودان، وكان لها دورها الاجتماعي والسياسي في البلاد، وتركزت هذه العائلات الموجودة في أم درمان والخرطوم.[4]

وقد تعاقبت على إيالة الحبشة عدة ولاة أبرزهم عثمان باشا ابن أوزدمير باشا سنة 1561م، وحســـين باشا سنة 1567م، أحمد بن إسكندر باشا سنة 1570م ورضوان باشا سنة 1573م.[5]

---

[1] – إنعم محمد، الكباشي، مرجع سابق، ص209.

[2] – نيقولاي، إيفانوف، مرجع سابق، ص137.

[3] – عوض، عبد الهادي، مرجع سابق، ص82.

[4] – محمد إبراهيم، أبو سليم، مرجع سابق، ص74.

[5] – طارق، محمد نور، مرجع سابق.

المبحث الثالث: الحكم المصري العثماني لإيالة الحبشة (1820-1882م)

أ-في عهد محمد علي* (1820-1848م):

بعد قيام محمد علي بناءا على طلب الدولة العثمانية بتوجيه حملة إلى بلاد الحجاز عبر البحر الأحمر، أصـــدر الســـلطان العثماني محمود الثاني (1808-1939م) فرمانا يقضـــي بتوجيه إيالة الحبشة وجدة والحرم المكي لعهدة محمد علي، وفي جويلية 1820م، أسندت ولاية جدة إلى إبراهيم باشا بن محمد علي، وبما أن ولاية جدة كانت تشمل إقليمي سواكن ومصوع، أصبح إبراهيم باشا يلقب بمتصرف جدة والحبشة، وسعى محمد علي في أن يجعل السيادة العثمانية على المنطقة حقيقة واقعية، بعدما كانت سيادة اسمية وأخذ يفكر بفتح الحبشة مدفوعا بعد أسباب أهمها[1]:

- الاضـــطرابات في المناطق المتاخمة لحدود مصـــر الجنوبية الناتج عن وجود المماليك في هذه المناطق، وإدخالهم للأسلحة النارية فيها وسعيهم لتكوين قوات تحت إمرتهم.[2]
- رغبة محمد علي في تجنيد جيش قوي، يســتطيع أن يصد به الغزو الأوروبي، خاصـــة وأن جنوده الألبانيين عرف عنهم قلة اهتمامهم وعدم رغبتهم في طاعة الأوامر، وقرر أن يجلب الجنود من السودان المعروف عنهم بشجاعتهم[3] وكذلك رغبته في توســـيع أبواب الرزق لأنصـــاره الأتراك والمغاربة الذين قهر بهم الوهـــابية في الحجاز، ورغبته في التخلص منهم خاصـــة بعد أن رفضـــوا

---

* – محمد علي (1769-1848م): ولد في مدينة قولة التابعة لمقدونيا شـــمالي اليونان عام 1769م، من أســـرة ألبانية دخل إلى مصـــر كضـــابط صـــغير في الحملات العثمانية لإخراج الفرنســـيين من مصر، وفي سنة 1850م تمكن من الوصـــول إلى حكم مصـــر، دام حكمة إلى غاية 1848م، اشـــتهر بحروبه ضد الوعاية وفي الشام...، ينظر إلى عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ص555.

[1] – عبد العاطي، غنيم، مرجع سابق، ص130-131.

[2] – عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997، ص168.

[3] – ضرار صالح، ضرار، تاريخ السودان الحديث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1968، ص23-24.

الإصلاحات التي عزم عليها، في أن ينظم جنوده مثل جيش بونابرت، فأراد أن يرسلهم إلى سنار ليستريح من أتعابهم.[1]

- سعي محمد علي لجعل البحر الأحمر بحيرة خاصة به لا يشاركه فيها أحد وبذلك يملك الطريق إلى الشرق والغرب، خاصة بعد النفوذ المتزايد لشركة الهند الشرقية البريطانية على الساحل الغربي للبحر الأحمر[2]، وزاد اهتمامه بالبحر الأمر بعد إخماده للثورة الوهابية، وتوليه حكم الحجاز ونجد عبرها من المناطق الأخرى المطلة على البحر الأحمر، وعودة البحر الأحمر للنشاط من جديد.[3]
- استثمار مناجم الذهب الذي سمح بكثرة وجوده في السودان لكونه مصدر غني للخزينة المصرية، ويمكنه من تطوير بلاده زراعيا وعسكري وصناعيا.[4]
- الحرص على سلامة مصر، وتأليف وحدها السياسية وذلك بالاستيلاء على مجرى نهر النيل الذي هو مصدر ثروة مصر.[5]
- الحصول على الرقيق وإدخال النظام على تجارية خاصة بعد أن تأصلت في البلاد منذ القديم والعمل على إلحاقهم في جيشه وتعليمهم الزراعة والصناعة والحرف.
- إحلال الأمن في السودان، وما كان يلاقيه التجار من مخاطر أثناء اجتيازهم طرق القوافل الذاهبة من النوبة وسنار، وهذا ما أدى إلى تحول طرق التجارة عن مصر، فحرمت من أرباحها الطائلة، لهذا عمل محمد علي على إعادة

---

[1] – نعوم، تشقير، تاريخ السودان، تح: محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1982، ص194.

[2] – عبد العاطي، غنيم، مرجع سابق، ص132-133.

[3] – عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل، مرجع سابق، ص168.

[4] – ضرار صالح، ضرار، مرجع سابق، ص23-24.

[5] – محمود، شاكر، السودان، مرجع سابق، ص23.

العلاقات التجارية بين مصـــر والسودان إلى سابق عهدها والعمل على دعمها وتوثيق أواصرها.[1]

لهذه الأسباب أخذ محمد علي يدرس الخطة الحربية بنفسه، فذهب إلى حدود مصر العليا في ســبتمبر ســنة 1819م، ووضـــع خطة الزحف على السودان من جنوبي شلال أســـوان، وعاد إلى الجيزة في 15 نوفمبر 1819م، بعد أن أمضـــى شـــهرين في تلك المنطقة.[2]

خرجت الحملة الأولى على الســـودان في 20 جويلية 1820م من القاهرة وعلى رأسها الأمير إسماعيل الذي انتصر في واقعة كورتي في شهر نوفمبر، ثم تقدم في زحفه إلى شندي، ثم إلى مدينة سنار التي سلمها لهم ملكها الشرعي بادى السادس في واد مدني، واعترف بسيادة الدولة العثمانية عليها، وفي 13 جوان 1822م دخل الأمير إسماعيل إلى مدينة ســنار، واســتأنف زحفه نحو الجنوب حتى بلدة ســخة التي سلمها ملكها فازوغلي طوعا.[3]

كما خرجت حملة أخرى في أفريل 1821م لضم كردفان وعلى رأسها صهر محمد علي الــدفتردار محمد بك، وضـــمت مجموعة من العلماء المصـــريين، من أجل دعوة الســـودانيين لقبول الحكم المصـــري، ووصـــلت هذه الحملة إلى إســـوان في 18 جويلية 1820م.[4]

ووصـــلت واد حلفا وبقيت فيها عشرين يوما، وتمكنت من الدخول إلى دنقلة واحتل حلفاية القريبة من الخرطوم، ودخل إلى أم درمان، فأقام الجنود هناك في محلة صـــغيرة،

---

[1] – محمد فؤاد، شـــكري، الحكم المصري في السودان (1820–1885م)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1947، ص18–19.

[2] – عبد الله، حســـين، الســـودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصـــرية، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص108.

[3] – محمد فؤاد، شكري، مرجع سابق، ص24.

[4] – عبد الله، حسين، مرجع سابق، ص109.

وهي الموقع الذي جعله محمد علي عاصـــمة للســـودان وأنشـــأ فيها مدينة الخرطوم، ثم واصـــلت الحملة سيرها إلى بارة شمالي الأبيض وحدث هناك موقعة كبيرة انتهت بانهزام الســـلطان محمد الفضل سلطان دارفو في سنة 1821م، وتعرضت هذه الحملة للأمراض وقلة المؤونة والذخيرة، فمات نحو نصف الجنود.[1]

وتمكن الدفتردار محمد بك من إخضاع كردفان لسلطة المصريين ومن هناك شرع في تنظيم الإدارة الجـــديدة، وبدأ في البحث عن مناجم الذهب والحديد، وأخذ يدرس موارد البلاد الطبيعية وأرسل الرفيق إلى مصر، لتدريبهم على أساليب النظام الجديد في إسوان.[2]

وأرسل محمد علي حملة أخرى سنة 1826م حملة استطاعت الدخول إلى مصوع كخطوة عملية في نشـــر نفوذ مصر تحت السيادة العثمانية على هذه المناطق، لكنه اضطر إلى إخلائها نتيجة ضغط الدول الأوروبية، وظلت تابعة لوالي جدة.[3]

وبعد ضـــم السودان تطلعت أنضار محمد علي باشا على الحبشة فأرسل إلى الباب العالي يطلب منه إلحاق ميناء سواكن ومصوع بالإدارة المصرية معللا ذلك بحاجة الإدارة المصـــرية في الســـودان إلى منفذ بحري تشرف عليه[4]، ولأن النفوذ العثماني بدأ يتعرض للكثير من الاعتداءات من طرف الأحباش، وفي ديســـمبر 1846م وافق السلطان العثماني على إحالة إدارتي ســـواكن ومصـــوع إلى محمد علي باشا، واشترط عليه أن تكون تحت السيادة العثمانية، وفي فترة محمد علي باشا فقط[5]، وأرسل محمد علي إسماعيل حفي أفندي إلى مصوع للاهتمام بشؤون الإدارة فيها.[6]

---

[1] – عبد الله، حسين، مرجع سابق، ص110.

[2] – محمود فؤاد، شكري، مرجع سابق، ص25.

[3] – عوض، عبد الهادي، مرجع سابق، ص84.

[4] – عبد العاطي، غنيم، مرجع سابق، ص141.

[5] – عوض، عبد الهادي، مرجع سابق، ص85.

[6] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص370.

وضـــمت أملاك محمد علي في السودان من النيل الأبيض إلى جزيرة دنكا جنوبا، وإلى غاية كردفان غربا بالإضافة إلى إقليم التاكا وسواكن ومصوع.[1] (ينظر الملحق رقم (02)، ص66.

ب-في عهد الخديوي إسماعيل* (1863-1879م):

في عهد الخديوي إســـماعيل ســـعت الحكومة المصـــرية لدى الباب العالي في إســـطنبول، كي يتنازل عن مينائي مصوع وسواكن مبرزا ذلك بتدخل فرنسا في المنطقة، والحد من تجارة الرقيق، وأن إلحاقها بمصـــر ســـيؤدي إلى ضـــم مناطق جديدة للسلطان العثماني[2] بســـبب الفراغ الســـياسي، وضعف الإمارات الموجودة فيها، وخلوها من الحكم القوي مما يسهل السيطرة عليها، بالإضافة إلى رغبته في السيطرة على منابع نهر النيل.[3]

وفي ماي 1865م أصـــدر الباب العالي فرمانا تم بموجبه إلحاق مينائي مصـــوع وســـواكن بالإدارة المصـــرية، وكلفت الحكومة المصـــرية جعفر باشـــا بتسلم الميناء من العثمانيين وتم تعيين حســـن رفعت على مصـــوع وملحقاتها في 29 ماي 1865م، وسط احتفال كبير بحضور الوجهاء والأعيان والقاضي وكبار التجار في المدينة.[4]

وجعل إسماعيل باشا من سواكن ومصوع محافظات، حيث امتدت محافظة سواكن من رأس علبة إلى رأس فوصار، ومحافظة مصوع من رأس قوصار حتى بوغار في باب المندب، وبنى فيها قلعة ومباني للحكومة.[5]

---

[1] – عبد الله، حسن، مرجع سابق، ص116.

* – الخديوي إســـماعيل (1830-1895م): هو إسماعيل بن محمد بن إبراهيم بن محمد علي، ولد بالقاهرة في ديسمبر 1830م، تلقى تعليمه في النمســـا وفرنســـا، عاد إلى مصـــر في عهد ولاية أبيه إبراهيم باشا، تولى عرش مصر سنة 1863م، ينظر إلى عبد الله عبد الرزاق، شـــوقي الجمل، تاريخ مصـــر والســـودان الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص209.

[2] – عوض، عبد الهادي، مرجع سابق، ص86.

[3] – محمد شاكر، السودان، مرجع سابق، ص24.

[4] – محمد عثمان، أبو بكر، مرجع سابق، ص382.

[5] – عبد الله، حسين، مرجع سابق، ص137.

شملت المناطق التي دخلها المصريين في إريتريا في سواحل البحر الأحمر مصوع وحرفيقوا، ومرتفعات الحباب وحوض البركة، وقسمت إريتريا إلى نظارة دتكل من حرفيقوا إلى بلاد الدنا، ونظارة سمهر من حرفيقوا إلى عقيق.[1]

ضم دارفور 1874م:

يرجع ضم دارفور للإدارة المصرية إلى جهود الزبير باشا*، الذي تمكن من الدخول إلى بحر الغزال، ودارت بينه وبين ملوك قبائلها عدة مناوشات انتهت بانتصاره عليهم، وتأسيسه لحكومة فيها، وحكم المنطقة حكما إسلاميا، وبسبب هذا حدث خلاف بينه وبين إسماعيل باشا بسبب رغبة هذا الأخير في ضم بحر الغزال للحكومة المصرية، وانتهى هذا الصراع بتعيين الخديوي إسماعيل للزبير باشا على بحر الغزال.[2]

وبعد ذلك سعى الزبير باشا للتوسع نحو الجنوب، ما أدى إلى حدوث صراع بينه وبين السلطان إبراهيم ملك سلطنة الفور، بعد دخول قوات الزبير باشا للزريقات التابعة لسلطنة الفور، وتمكن الزبير باشا من الانتصار على جيش سلطنة الفور في واقعة منواشي* في نوفمبر 1874م.[3]

وفي نوفمبر 1874م دخل الزبير باشا على رأس جيشه مدينة الفاشر عاصمة سلطنة الفور، وهو ما أدى إلى تسليم السكان للمناطق المجاورة لها لقوات الزبير باشا، الذي أطلق حربه العبيد، وإعطائهم وثائق تثبت تحريرهم من الرق.[4]

---

[1] – عثمان صالح، سبى، تاريخ إرتيريا، مرجع سابق، ص155.

* – الزبير باشا: هو الزبير رحمت بن منصور، يعود أصله إلى العباسيين الذين هاجروا بعد غزو المغول لبغداد، يرجع إليه الفضل في ضم دارفور للحكومة المصرية، منحه الخديوي إسماعيل لقب باشا بعد منحه بحر الغزال، ينظر إلى نعوم شقير، تاريخ السودان، ص173.

[2] – ضرار صالح، ضرار، مرجع سابق، ص76-77.

* – واقعة منواشي: في نوفمبر 1874م بين الزبير باشا وقوات السلطان إبراهيم وهي منطقة تقع في الجنوب الشرقي للفاشر عاصمة دارفوار...ينظر إلى نعوم شقير، تاريخ السودان، ص279.

[3] – ضرار صالح، ضرار، مرجع سابق، ص77.

[4] – عز الدين، إسماعيل، الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري، سلسلة تاريخ المصريين، ع113، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1997، ص160.

وبعد ضمه لهذه المناطق ووضعها تحت الإدارة المصرية، وتولي الزبير باشا أمرها، ما أدى إلى حدوث خلاف بينه وبين حكمدار السودان إسماعيل باشا أيوب، فذهب الزبير باشا إلى السودان لعرض وجهة نظره على الخديوي إسماعيل، فأكرمه وأسكنه إحدى قصوره، لكن منعه من العودة للسودان.[1] (ينظر الملحق رقم (03)، ص67.

ضم الصومال 1875م:

سعى الخديوي إسماعيل لضم زيلغ، باعتبارها المنفذ البحري لهرر، وملتقى سلعها من البن والعاج وريش النعام والصمغ، مقابل زيادة في الجزية السنوية قدرها 133365 جبنة، وتنازل السلطان العثماني لمصر في جويلية 1875م عن زيلغ وملحقاتها وهي بربرة ويلمار وتاجورة[2]، وسيطر المصريون على ساحل الصومال من تاجوراء إلى رأس حاذ فون، ولم يواجه المصريون صعوبة في إحكام السيطرة على مدن الساحل، لكن السيطرة حول المناطق الداخلية فقد كانت عسيرة بسبب صمود رجال القبائل الصومالية ضدهم.[3]

ولما استقر الأمر لمصر على ساحل الصومال الشمالي، أمر الخديوي إسماعيل الحاميات المصرية المرابطة هناك بالزحف نحو هرر التي سلمت له في 11 أكتوبر 1875م.[4]

الثورة المهدية 1881-1885م:

في عام 1881م ظهر شخص يسمى بمحمد أحمد المهدي* وأعلن لأنصاره أنه المهدي المنتظر المكلف من الله سبحانه وتعالى بتأسيس دولة إسلامية كبرى عاصمتها مكة، وأعلن لمريديه أن النبي ﷺ نصبه مهديا وكلفه بدعوة.[5]

---

[1] – عبد الله عبد الرزاق، شوقي الجمل، مرجع سابق، ص218.

[2] – محمد عبد المنعم، يونس، الصومال وطنا وشعبا، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1962، ص37.

[3] – أليس، مورهايل، ثلاث سنوات من الهيمنة السودانية على ساحل الصومال (1877-1880م)، تر: بدر الدين حامد الهاشمي، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، www.mogadishucenter.com، 8 جوان 2015.

[4] – محمد عبد المنعم يونس، مرجع سابق، ص37.

* – محمد احمد المهدي: هو محمد أحمد بن عبد الله، يعرف بفقيه أبا، ولد ف جزيرة ضرار في دنقلة وهو صغير إلى الخرطوم وأظهر ميلا شديدا لتعلم العلوم الدينية اشتهر بالورع والتقوى والزهد، أنشأ مدرسة بالخرطوم عام 1864م، ثم انتقل إلى جزيرة آبا بالنيل الأبيض وهناك بدأ في نشر دعوته، ينظر إلى محمد محمود شكري، مرجع سابق، ص220.

[5] – أحمد زكريا، الشلق، مرجع سابق، ص189.

انقلب المهدي من داعية ديني إلى مصـــلح ســـياسي واجتماعي يدين بآراء السياسة والاقتصـــاد ورأى أنه لا سبيل لتحقيق الأمن والنظام إلا بإنهاء الحكم المصري العثماني، الذي سبب الإهانة والتحقير التي لحقت بالدين الإسلامي.[1]

ولهذا قامت الحركة المهدية كرد فعل عن الأوضاع القائمة في السودان وذلك للحالة المتردية التي وصل إليها المسلمون من ضعف وخضوع للأعداء بسبب تحكم الأجانب في الحكم باســـم المصـــريين، وفق خطة مرســـومة لهم بناء على مخطط عام لتحقيق مصالح المستعمرين ومن أشهرهم غوردن حاكم السودان العام.[2]

واستطاع المهديون الاستيلاء على الأبيض في 19 جانفي 1883م وانتشرت الثورة في السودان الشرقي إلى ساحل البحر الأحمر كما سقطت الفاشر في جانفي 1884م وهو ما أدى إلى سقوط دارفور لحكم المهديين.[3]

وفي 26 جانفي 1885م ســـقطت الخرطوم في يد المهديين وكان ذلك بداية لحكم المهدية في السودان وأدى هذا إلى انسحاب الجنود المصريين من السودان[4] وإخلاء جميع المناطق التي كانت تتبع للســـودان وهي الصومال وهرر وإريتريا والتي أصبحت مناطق فارغة، لا تســـتطيع الدولة العثمانية أن تملأ فراغها، فســـارعت الدول الاســـتعمارية إلى اقتســـامها وفق اتفاقية ســـرية فاحتلت إيطاليا إريتريا وجنوبي الصومال، وأخذت إنجلترا شـــمال الصـــومال وفرنســـا منطقة جيبوتي وأعطيت للحبشة منطقة هرر وكان هذا نهاية للحكم العثماني للمنطقة.[5]

---

[1] – محمد محمود، شكري، مرجع سابق، ص222.

[2] – محمود شاكر، السودان، مرجع سابق، ص 33-34.

[3] – محمد محمود، شكري، مرجع سابق، ص226.

[4] – محمد محمود، شكري، مرجع نفسه، ص242.

[5] – محمود شاكر، السودان، مرجع سابق، ص38.

الخاتمـــــة

الخاتمة:

من خلال دراستنا للموضوع نستنتج ما يلي:

- شـــكل البحر الأحمر بموقعه الجغرافي وأهميته الاســـتراتيجية لكونه أهم طريق بحري للتجارة العالمية محور صراع بين مختلف القوى العالمية.
- إن انـــدفاع البرتغاليين نحو البحر الأحمر كان نتيجة لعوامل صـــليبية دينية أكثر منها اقتصـــادية، حيث أصـــبحت الأماكن المقدسة هدفا من الأهداف العسكرية وهذا لتضييق الخناق على العالم الإسلامي.
- يرجع الفضـــل للسيطرة البرتغالية على الأماكن الاستراتيجية في البحر الأحمر والخليج العربي إلى الدور الكبير الذي لعبه القائد البرتغالي البوكيرك.
- رفعت الدولة المملوكية شعار الدفاع ضد البرتغاليين على الرغم من الضعف الذي كانت تعيشه، فبادروا بمهاجمة البرتغاليين في الهند بمساعدة الدولة العثمانية التي سعت لتوحيد الجهود في سبيل القضاء على الوجود البرتغالي في البحر الأحمر.
- يمثل دخول العثمانيين إلى مصر سنة 1517م تطورا جديدا في الأحداث التاريخية خلال القرن 16م بتوجه العثمانيين نحو المشرق وبداية اهتمامهم بالبحر الأحمر.
- حرص العثمانيون على تأمين البحر الأحمر عن طريق السيطرة على مدخله باب المندب وتأمين سواحله الشرقية في اليمن عامة وعدن خاصة.
- ركز العثمانيون في ســـياســـتهم في البحر الأحمر على تأمين الأماكن المقدسة للمسلمين والعمل على تقوية الأســـطول البحري في مصر وتأسيس قبودان السويس وجعله قاعدة بحرية ومنطلقا لحملاتهم في البحر الأحمر للســـيطرة على عدن واليمن، وإغلاق وجهته في وجه السفن البرتغالية.

يظهر نجاح الدولة العثمانية في تأمين البحر الأحمر من خلال:

1. إرســـالهم للعديد من الحملات لطرد البرتغاليين منه ومن أبرزها حملة سليمان باشا الخادم 1538م التي ساهمت بشكل كبير في السيطرة على اليمن وزعزعة البرتغاليين في مراكزهم التجارية في المحيط الهندي.

2. الاستقرار داخل البحر الأحمر ومحاولة تحرك خارجي بإرسالهم للعديد من الحملات للخليج العربي والتي ساهمت بشكل كبير للتصدي للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي والتأثير على الوجود البرتغالي في البحر الأحمر بإضعافه وتشتيت جنوده.
3. التعاون مع القوى الإســـلامية في الشرق الإفريقي بمساعدتهم للإمام أحمد قرين في جهاده ضـــد الأحباش والبرتغاليين مشـــكلة صـــورة للوحدة الإســـلامية لمواجهة البرتغاليين.

- سعى البرتغاليين في عقد تحالف صليبي مع الأحباش في شرق إفريقيا والتصدي للدولة العثمانية والعمل على تحقيق أهدافهم ومشاريعهم الصليبية في البحر الأحمر.
- لعب أوزدامير باشا دورا كبيرا في تأسيس إيالة الحبشة ومد النفوذ العثماني إلى سواحل السودان وإرتيريا والتوغل داخل الأراضي الإثيوبية.
- الدافع الأساسي للعثمانيين من تأسيس إيالة الحبشة هو حماية الأماكن المقدسة والتصدي للبرتغاليين والقضـــاء على تحالفهم مع الأحباش وحماية المناطق الإســـلامية في شرق إفريقيا.
- لم تختلف الســـياسية العثمانية في السودان والصومال وإرتيريا عن السياسة العثمانية في بقية البلاد العربية، حيث ركزوا على حماية الســـواحل وعدم التدخل في شؤون الأهالي ويعتبر بناء المساجد من أبرز ملامح الوجود العثماني في السودان وإرتيريا والصومال، حيث أن أغلب المساجد الموجودة فيها يعود أصلها إلى الوجود العثماني في المنطقة.
- تمثل الوجود العثماني في الحبشـــة في السيطرة على الموانئ الاستراتيجية وعدم التوغل في الداخل إلا في عهد محمد علي.
- اســـتغل محمد علي ضعف الوجود العثماني في السودان والصومال وإرتيريا والمرحلة الصـــعبة التي تمر بها الدولة العثمانية وســـعى لتوســـيع إدارته ومد نفوذه إلى السودان وحكمها باسم الدولة العثمانية.
- ســـاهم الحكم المصري العثماني بتوسيع النفوذ العثماني في إيالة الحبشة ليشمل أراضي واسعة من السودان وإرتيريا والصومال ومنطقة هرر خاصة في عهد الخديوي إسماعيل.
- تعتبر الثورة المهدية نهاية للحكم العثماني في الســـودان والصـــومال وإرتيريا وبداية خضوع هذه الدول للاستعمار الأوروبي.

الملاحق

الملحق رقم (01): الحملات البرتغالية على البحر الأحمر[1]

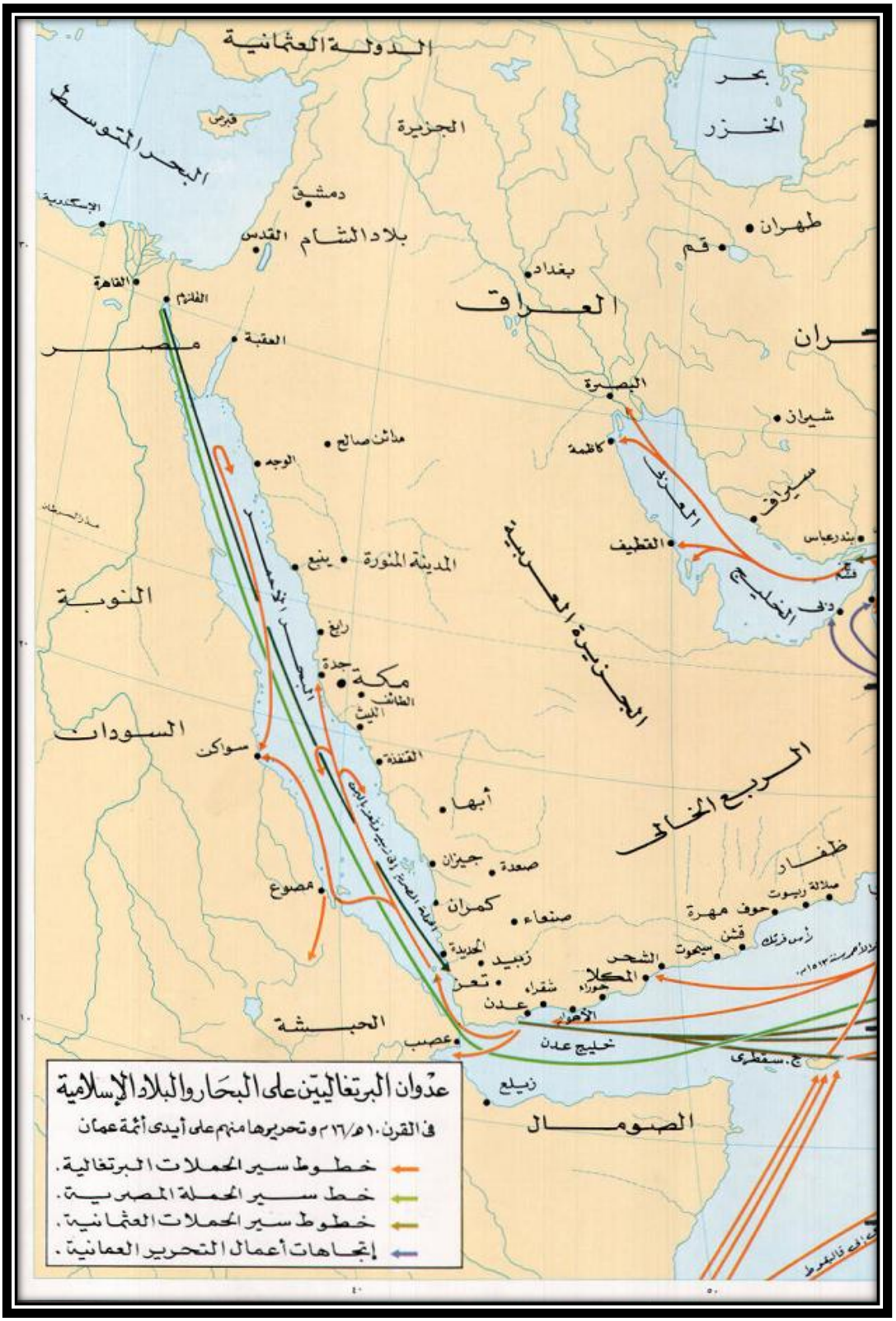

[1] – حسين، مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1987، ص199.

الملحق رقم (02): الإدارة المصرية للسودان في عهد محمد علي[1]

[1] – شوقي الجمل، عبد الرزاق إبراهيم، مرجع سابق، 171.

الملحق رقم (03): امتداد الإدارة المصرية لبحر الغزال ودارفور في عهد الخديوي إسماعيل[1]

[1] – شوقي الجمل، عبد الرزاق إبراهيم، مرجع سابق، ص219.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

- إبراهيم بجوي، أفندي، تاريخ بجوي إبراهيم التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الأول، تر: ناصر عبد الرحيم حسين، ج1، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، 2015.

-أحمد بن زين الدين، المليباري، تحفة المجاهدين في أحوال البرتغاليين، تح: محمد سعيد الطريحي، مؤسسة الوفاء، بيروت-لبنان، 1975.

- تقي الدين أبي العباس، المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، 1982.

- أوليا جلبي، الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة، ج1، تر: حسين مجيب المصري، دار الآفاق العربية، القاهرة-مصر، 2006.

- المفتي، أحمد، الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، المطبعة الأميرية، الإسكندرية-مصر، 1321هـ.

- أبي الحسن علي بن الحسن بن علي، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، ج1، المكتبة العصرية، بيروت-لبنان، 2005.

- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت-لبنان، 1977.

- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن-هولندا، 1889.

- عبد الرحمن، ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق-سوريا، 2004.

- عبد الرحمن بن علي، ابن الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد، دار العودة، بيروت-لبنان، 1983.

- عبد الرحمن بن علي، ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق وتعليق محمد بن علي الأكوع، "سلسلة من تراثنا"، ع 10، المكتبة اليمنية الحوالية، صنعا-اليمن، 1988.

- عيسى بن لطف الله، شرف الدين، روح الروح فيما حدث من المائة التسعة من الفتوح، تح: إبراهيم بن أحمد، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء-اليمن، 2003.

- شـــمس الدين عبد الصمد، الموزعي، الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة عثمان، تح: عبد الله محمد الحبشـــي، شـــركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1986.

- شـــهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن ســـالم بن عثمان، عرب بافقيه، فتوح الحبشـــة، [د.ت]، [د.م].

- تشـــقير، نعوم، تاريخ السودان، تح: محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1981.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد، المقدســـي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن-هولندا، 1909.

- العيدروســـي، عبد القادر بن الشيخ بن عبد الله، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تح: أحمد حالو، محمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت-لبنان، 2001.

- قطـــب الدين بن أحمد، النهراولي، غزوات الجراكســـة والأتراك في جنوب الجزيرة المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات دار اليمامة، السعودية، 1967.

- المحامي، محمد فريد بيك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت-لبنان، 1981.

- محمد بن أحمد، ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، تح: محمد مصـــطفى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة-مصر، 1984.

- أبي محمد الطيب بن عبد الله، ابن بامخرمة، قلادة البحر في وفيات أعيان الدهر، مج6، عني به: بوجمعة مكري، خالد زواري، دار المنهاج للنشـــر والتوزيع، جدة-الســـعودية، 2008.

ب-المراجع:

- إسماعيل، عز الدين، الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري، سلسلة تاريخ المصريين، ع113، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1997.

- إمجان، فريدون، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، حقائق في ضوء المصادر، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، 2014.

-إيفانوف، نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574)، ترجمة: يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988.

- أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مج1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول-تركيا، 1988.

- أبو بكر، محمد عثمان، تاريخ إريتريا المعاصر أرضا وشعبا، [د. ن]، القاهرة-مصر، 1994.

- شوقي، عطاء الله الجمل وآخرون، الموسوعة الإفريقية، لمحات من تاريخ القارة، مج2، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة-مصر، 1997.

- تيسن هيريدي، فزغلي علي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، الإسكندرية-مصر، 2008.

- حافظ، صلاح الدين، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة، ع49، جانفي 1982، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

- حسين، عبد الله، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012.

-خياطة، سليم، الحبشة المظلومة أو فاتحة آخر نزاع للاستعمار في دور انهياره، مطبعة روضة للفنون، بيروت-لبنان، 1936.

- دانتيت، روجيه جوانت، تاريخ البحر الأحمر من موسى حتى بونابرت، تر: حسن نصر الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2013.

- عبد الرزاق عبد الله، شوقي الجمل، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997.

- رياض، زاهر، استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، 1965.

- سالم، أحمد سالم، استراتيجية الفتح العثماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية-مصر، 2012.

- سيد، مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن 1538-1635م، ط5، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999.

- سالم، عبد العزيز، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية-مصر، 1993.

- السلطان عبد الله المحسن، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ع7، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، 1984.

- السلمان، محمد حميد، الغزو البرتغالي للخليج العربي والجنوب العربي (1508-1565)، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة، 2000.

- سرهنك، إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، المطبعة الأميرية، الإسكندرية-مصر، 1894.

- السعدني محمود إبراهيم، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة-مصر، [د.ت].

- شاكر، محمود، السودان، سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، ع11، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982.

- شاكر، محمود، إريتريا والحبشة، سلسلة مواطن الشعوب في إفريقيا، ع5، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983.

- شاكر، محمود، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة للنشر، عمان-الأردن، 2005.

- شكري، محمد فؤاد، الحكم المصري في السودان (1820-1885م)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1947.

- الشلق، أحمد زكريا، العرب والدولة العثمانية من الخضوع للمواجهة (1516-1916)، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2002.

- الشناوي محمد، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، ملتزم للطبع والنشر، القاهرة-مصر، 1980.

- الصادق، عابدين عبد الصبور، إريتريا والسودان تطور العلاقات الاستراتيجية، سلسلة الدراسات الاستراتيجية، العدد 19، مركز الدراسات الاستراتيجية، الخرطوم-السودان، 2012.

- صالح سبى، عثمان، الصراع في البحر الأحمر عبر التاريخ، دار الفجر الجديد للطباعة والنشر، أسمرة-إريتريا، 1970.

- صالح سبى، عثمان، تاريخ إريتريان سلسلة قضايا دولية، عدد 13، المكتبة الإريترية، أسمرة، 1994.

- الصلابي، محمد علي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، سلسلة صفحات من التاريخ الإسلامي، ع6، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة-مصر، 2001.

- ضرار صالح، ضرار، تاريخ السودان الحديث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1968.

- عودة، غالي، إريتريا بلاد المسلمين وصراع النفوذ، دار البشير، عمان-الأردن، 1989.

- العيدروس، محمد حسن، السياسة العثمانية تجاه الخليج العربي، دار المتنبي للطباعة والنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1980.

- غنيم، عبد العاطي، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن 19، سلسلة تاريخ المصريين، العدد 140، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، 1999.

- غيث، فتحي، الإسلام والحبشة عبر التاريخ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، 2001.

- قاسم، جمال زكريا، دراسات في تاريخ الخليج العربي، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، 2001.

- متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة-مصر، 1995.

- متولي، أحمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2005.

- ناود، محمد سعيد، العروبة والإسلام في القرن الإفريقي، دار ناود، أسمرة-إريتريا، [د.ت].

- يحي، جلال، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1965.

- يحي، جلال، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية-مصر، 1999.

- يونس، محمد عبد المنعم، الصومال وطنا وشعبا، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1962.

ج-المقالات:

- إبراهيم، محمد كريم، الحملة العثمانية على عدن 945هـ/1538م أسبابها ونتائجها، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج4، ع2، بغداد-العراق، 2014.

- بدر الدين حامد الهاشمي، مركز مقديشو للبحوث والدراسات، www.mogadishucenter.com، 8 جوان 2015.

- الحجار، محمد صبحي، الصراع على البحر الأحمر حقبة ما قبل 1980، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 81، جويلية 2012، بيروت-لبنان.

- أبو سليم، محمد إبراهيم، دور العثمانيين في إفريقيا وفي السودان على وجه الخصوص، ملامح من العلاقات السودانية التركية، سلسلة الدراسات التركية، ع1، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، السودان، 2004.

- الظرافي أحمد، الإمام جوري الصومالي فتح الحبشة، مجلة البيان، العدد 333، فيفري، مارس 2015، مركز البيان للبحوث والدراسات، الرياض، السعودية.

- الكباشي، محمد إنعم، تأسيس لواء سواكن في العهد العثماني، مجلة الذارة، ع4، السنة 33، شوال 1433هـ الخرطوم، السودان.

- محمد زهير، قاسم، الثورات الخليجية ضد الاحتلال البرتغالي في النصف الأول من القرن 16، مجلة سامراء، مج4، ع9، العراق-بغداد، 2008.

- المشهداني، ياسر عبد الجواد، النفوذ البرتغالي وأثره على الهند الإسلامية (1498—1514م)، مجلة التربية والتعليم، مج 14، ع 2، بغداد-العراق، 2007.

- الموعد، حمد سعيد، أمن الممرات المائية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، بغداد-العراق، 1999.

- هابرلاند، القرن الإفريقي، تاريخ إفريقيات العام من القرن 16م إلى القرن 18م، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، بيروت، لبنان، 1997.

- عبد الهادي، عوض، سواكن ومصوع في عهد الحاكم التركي المصري، ملامح العلاقات السودانية التركية، سلسلة الدراسات التربية، ع1، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم، السودان، 2004.

د-المؤتمرات والملتقيات:

- الدغيم، محمود السيد، تاريخ البحرية العثمانية حتى نهاية عهد الخليفة سليم الثاني، ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار، اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة-مصر، 1994.

- السروجي، محمد محمود، المقاومة العربية الإسلامية للبرتغاليين في الخليج العربي الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية، ندوة رأس الخيمة التاريخية (2)، سلسلة الندوات التاريخية، العدد 2، مركز زايد للدراسات والوثائق، رأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، 2001.

- شهاب حسن صالح، البحرية العثمانية ومهمة التصدي للمخطط البرتغالي في الخليج العربي، الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية، ندوة رأس الخيمة التاريخية (2)، سلسلة الندوات التاريخية، ع2، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة-الإمارات العربية المتحدة، 2001.

- محمد نور، طارق، إضاءة على جانب من تاريخ السودان على ضوء الوثائق العثمانية سواكن 1840-1864م، المؤتمر السنوي للدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الخرطوم، السودان، فيفري 2013.

هـ-المذكرات:

- الصيرفي، نوال حمزة يوسف، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن 10هـ-16م، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، 1980.

- الرمال، غسان علي محمد، صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن 10هـ/16م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة عبد العزيز، مكة-السعودية، 1980-1981.

- بن محمد شعيب، شيخة بنت صالح، ميناء الشحر في القرن 10هـ-16م، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 2003-2006.

و-المعاجم والقواميس:

- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 2000.

هـ-الأطالس:

- حسين، مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1987.

الفهارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن

فهرس الأعلام:

-أ-

الإمام أحمد جوري: 42، 43، 44، 45، 49.

أوزدمير باشا: 48، 49.

-ب-

بوكيرك: 15، 17، 18، 19، 24، 40.

بيري رايس: 35، 36.

-ح-

حسين الكردي: 21، 22، 23، 24.

-خ-

الخديوي إسماعيل: 58، 59، 60.

-س-

سليمان الرايس: 23، 24، 25، 30، 31.

سليمان باشا الخادم: 31، 32، 33، 34.

سليم الأول: 25، 26، 27، 28، 29، 46، 47.

سليمان القانوني: 32، 35، 36.

-ع-

عامر بن داور الظاهري: 24، 32، 33.

-ق-

قنصوه غوري: 21، 23، 26، 27.

-ل-

لبنا دنقل: 40، 42، 43، 45.

-م-

محمد علي: 54، 55، 56، 57.

-ه-

هيلينا: 40، 41.

فهرس الأماكن:

-أ-

إثيوبيا: 10، 13، 39.

إرتيريـــا: 8، 12، 40، 43، 49، 50، 58، 61.

-ب-

البحر الأحمر: 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 16، 18، 19، 21، 24، 26، 30، 32، 35، 37، 39، 40، 41، 43، 47، 48، 49، 54، 55.

بربرة: 42، 60.

-ح-

الحبشة: 19، 30، 39، 40، 42، 43، 44، 47، 49، 50، 52، 53، 54، 57.

-د-

داباروا: 43، 49، 54.

-ز-

زيلغ: 24، 41، 42، 47، 49، 50، 60.

-س-

سواكن: 22، 41، 43، 44، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 57.

الســـودان: 8، 10، 12، 43، 46، 47، 50، 53، 54، 55، 56، 57، 61.

-ص-

الصـــومال: 12، 40، 43، 50، 60، 61.

-ع-

عـــدن: 12، 13، 16، 18، 19، 22، 24، 32، 33، 34، 35، 40.

-م-

مصر: 8، 9، 12، 13، 22، 25، 26، 27، 28، 32، 34، 36، 37، 39، 46، 47، 49، 53، 54، 55، 56.

مصـــوع: 8، 12، 13، 39، 41، 43، 44، 47، 49، 50، 51، 52، 54، 57، 58.

-ه-

هرر: 42، 43، 56، 60، 61.

-ي-

الـــيمن: 8، 13، 24، 30، 31، 32، 33، 34، 39، 48، 51.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان
إهداء
مقدمة 2

مدخل تمهيدي

البحر الأحمر الموقع والأهمية

أ-التسمية 07
ب-الموقع 07
أهم المضايق في البحر الأحمر 09
أهم الخلجان في البحر الأحمر 09
ج-أهمية البحر الأحمر 09
البرتغاليون في البحر الأحمر خلال القرن 16م 14
1-دوافع اهتمام البرتغاليين بالبحر الأحمر 14
2-الحملات البرتغالية للسيطرة على البحر الأحمر خلال القرن 16م 17

الفصل الأول

الوجود العثماني في البحر الأحمر خلال القرن 16م

المبحث الأول: الصراع المملوكي البرتغالي في البحر الأحمر (15071515م) 21
المبحث الثاني: ضم مصر والحجاز للدولة العثمانية 1517م 26
المبحث الثالث: الحملات العثمانية للسيطرة على البحر الأحمر 30
أ-اليمن والمحيط الهندي 30

ب-الخليج العربي 34

الفصل الثاني

الوجـود العثماني في إيالة الحبشة

المبحث الأول: الحبشة قبل مجيء العثمانيين 39
أ-التعريف بالحبش 39
ب-التحالف البرتغالي الحبشي 1509م 39
ج-الصراع بين الإمارات الإسلامية والحبشة 42
المبحث الثاني: الحكم العثماني للحبشة (1557-1820م) 46
1-تأسيس إيالة الحبشة 1557م 46
2-الإمارة العثمانية في إيالة الحبشة (1557-1820م) 50
المبحث الثالث: الحكم المصري العثماني لإيالة الحبشة (1820-1882م) 54
أ-في عهد محمد علي (1820-1848م) 54
ب-في عهد الخديوي إسماعيل (1863-1879م) 58
خاتمة 63
الملاحق 66
قائمة المصادر والمراجع 70
الفهارس
فهرس الأعلام 78
فهرس الأماكن 79
فهرس المحتويات 82